هدية لخزانة كتب الكلية الصلاحية با
لقدس من صاحب المقتبس
محمد كرد علي

[illegible] شعبان [illegible]

المقتبس

مجلة تبحث في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والأدب والتاريخ والآثار واللغة
وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle paraissant à Damas (Syrie)

Pédagogie, sociologie, économie politique, littérature, histoire, archéologie, philologie, ménagerie, hygiène, bibliographie, civilisation arabe et occidentale.

تصدر في كل شهر عربي بدمشق

لمنشئها
محمد كرد علي

المجلد السادس

١٣٢٩ — ١٩١١

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف
وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً
ABONNEMENT 13 Fcs

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة السادسة

يفتتح المقتبس سنته السادسة [illegible] [illegible] ان يسر [illegible] [illegible] [illegible] شيئاً في هذه المجلات . ويغتبط اليوم ان يرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهكذا من عادتهم والذين [illegible] الى الاشتراك [illegible] في كل [illegible] [illegible] عربية [illegible] من المباحث عناية خاصة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والأدب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأخرى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وقد [illegible] وعلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على العلوم والآداب

أحمد بك تيمور (القاهرة) أحمد زكي [illegible] (القاهرة) أمين [illegible] [illegible] [illegible] الشيخ جمال الدين القاسمي «دمشق» جرجي افندي الحداد «دمشق» [illegible] افندي رفعت «دمشق» خليل بك [illegible] «بيروت» رشيد افندي [illegible] [illegible] [illegible] بك [illegible] «القاهرة» [illegible] [illegible] [illegible] صلاح الدين [illegible] «دمشق» [illegible] «بغداد» سليم افندي [illegible] «دمشق» [illegible] [illegible] «دمشق» الشيخ طاهر الجزائري [illegible] [illegible] «دمشق» [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عبد الوهاب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] «دمشق» [illegible] «دمشق» [illegible] الآلوسي «بغداد» يوسف افندي جرجس زخم «البرازيل»

كتاب البئر

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) [illegible]

عليه في يوم الجمعة سادس عشر صفر من سنة احدى وتسعين واربعمائة فاقر به قال : اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري قراءة عليه وانا اسمع في المحرم سنة احدى وخمسين واربعمائة قال اخبرنا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا ابن حيويه الخزاز قراءة عليه في يوم الاربعاء النصف من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قال قرأ ابو الحسن الرزاز رحمه الله تعالى على ابي عبيد الله محمد ابن احمد الحكيمي سنة اربع وثلاثين وانا حاضر اسمع . قال : اخبرنا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي وقرأه الرزاز وانا حاضر اسمع على ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب عَلَي معنى التصحيح قال :

صفة البئر

عن ابن الاعرابي قراءة على ابي العباس احمد بن يحيى النحوي عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي قال : يقال للارض اذا لم يكن فيها حفر لحفر فيها « ارض مظلومة » قال الشماخ :

وأس رماد كالحمامة ماثل ونؤيان في مظلومتين كلاهما

ويقال اذا حفر قعدة الرجل او قعدتين قيل « حفر اوقة (١) او اوقتين » قال الشاعر

والخمس الامي لما بين الاوق (٢)

قال ابو عمر هو اوقة بالفتح وجمعها اوق والاجماعي من ثعلب قال ابو العباس الاوقة بئر الصائد التي يستتر فيها من الوحش فاذا ابتدأ حفر البئر فهي بدء فاذا حفر الى اسفل قيل قد اعتمق واعمق وحفر معين وعميق واذا اخذ جانبها قيل قد لجف (٣) قال الشاعر

اذا انتحى معتمقا او لجفا

ويقال جانب البئر الجال والجول وانه لغير ذي جول اي انه قليل العقل وانه لغير

---

(١) وفي القاموس الاوقة الجماعة وبالضم الركية مثل البالوعة في الارض

(٢) الرجز لرؤبة وآخره « في ليل نصباء وخيس عشلق »

(٣) اللجف الذي يحفر في ناحية من البئر والتلجف الحفر في نواحي البئر ولجفت البئر تلجيفا حفرت في جوانبها وفي حديث الحجاج انه حفر حفرة فلجفها قال العجاج يصف ثوراً :

بسلهبين فوق انف ادلفا اذا انتحى معتمقا اولجفا

قوله بسلهبين اي بقرنين طويلين

مناسك الجبل يقال ذلك للرجل اذا كان يحقق فاذا حفرها حتى يبلغ الماء قيل قد انبطها والماء هو النبط وفطرها اذا كان هو ابتدأها

واختصم الى ابن عباس رضي الله عنهما رجلان في بئر فقال احدهما بئري انا فطرتها اي ابتدأتها واستخرجتها .

فاذا انفذتها في الجبل قيل بئر خسيف وهي التي خسف جبلها قال الشماخ :

من الكلى في خسف رويات

ويقال حفر حتى اماه واعين اي حتى استخرج الماء وحفر حتى اصلد اذا وقع على موضع صلب او على حجر وكذلك اكدى قال ابو زبيد :

يا عثم ادركني فان ركيتي   صلدت فاعيت ان تبض بمائها

وحفر فاجبل وقع على جبل واسهب وقع على رمل او تراب يغلبه

ويقال لتراب البئر النبيثة والنبيث[1] والنثيلة والثلة والسفاة قال الهذلي :

فقد ارسلوا فراطهم فتأثلوا   قليبا سفاها كالاماء القواعد

ويقال ماء نمير اذا كان يوافق الشاربة وينجع في جلودها واجسامها عذبا كان او غير ذلك قال حاتم :

وشربت بالماء النمير ولم   أترك ألاطم حمأة الحفر

وقال آخر :

قد جعلت والحمد لله تقر   من ماء عد في جلودها نمر

قال ابو عمرو : تقر تسكن من قولك قر يقر اذا سكن ويقال ماء شريب عذب وشريب ايضا ثقيل وماء ماج وقد موج يموج موجة ومياه ماجة

واسماء البئر

الركية والجمع ركايا . والقليب والجمع قلب . والفقير وهي التي تحفر جبلها فاتخذت حديثا . والطوي والجمع اطواء . والبدي وهي الجديدة الحفر وهي الواسعة الرأس كلها وربما تقوضت واسع رأسها وربما كانت الحديثة الحفر . والبدي حين تبتدأ وهي

---

[1] قال ابو زيد نبثت بنثيثة مثل نبش ينبش وهو الحفر باليد والنبيثة تراب البئر والنهر قال الشاعر

وان نبشوا بئري نبثت بئارهم   فسوف ترى ماذا ترد النبائث

وخبيث نبيث اتباع

الريح وقال بعض الأعراب [illegible]
إلى هذا الجانب [illegible] الآخر .

والبدي من [illegible]
[illegible]
[illegible]
بدكران ويونس والحطيئة من [illegible]
فإذا طويت [illegible]
وعبر [illegible]
بالدلو من البئر البديل [illegible] وإذا كانت في بكرة [illegible]
التي [illegible] شطنة واحدة [illegible] واحدة [illegible]
هو نشاط [illegible] محمد يوسف بن [illegible]
بالكسر ويجوز [illegible]
وماء عضوض [illegible]

بئر [illegible] عضوض [illegible]

وماء مدرع [illegible] أبو عمرو [illegible]
وماء مطلب [illegible]
قال أبو عمرو [illegible]
فيها مكله [illegible]
ولما كانت [illegible]

---

(١) أولي [illegible]
من فوق [illegible] من [illegible]
بسبب [illegible]

(٢) [illegible]

[illegible]

[illegible]

(٣) وماء [illegible]
من الكلام

تحت [illegible] قبل [illegible] وإذا كانت [illegible] بئر قطع [illegible]
[illegible] الناس [illegible] وقد [illegible]

وإذا كانت [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible] من [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible] من [illegible]
[illegible]
[illegible] من هذه الحرف [illegible]
[illegible] بئر [illegible]
[illegible] كانت كثيرة
[illegible]

[illegible]

[illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا
[illegible] ولا [illegible] كثيرة [illegible]
[illegible]
وقد [illegible]

[illegible] في الشمس [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يجذب [illegible]
حجر [illegible] البئر [illegible].

لو ان سلمى شهدت[1] مظلي   تقمح او تدري او تعلي
اذا راحت غير ذات دل

وقال آخر :

اكل يوم قلتنا ابن أبن   دونك عن حد الصفيح والبن

والثمد ان تكون كالبئر الا انه لا تكون من عيون اذا انقطع حفر ذراعين او قامة فيخرج فيشرب اياما ثم ينقطع والحسى ماء لا ينقطع والجمع[2] احساء وحساء . والحسى يسمى الكر واذا تغير الماء في القليب قيل قد عرمض وصحن الماء في القليب وهو الصرى والصرى مقصوران يقال ماؤها صرى فاستق من غيرها ويقال أجن وأجن يأجن ويأجن اجنا واجونا وأسن أسنا واذا علته جليدة من طول الترك قيل دوى يدوي تدوية وماء داو كما ترى فاذا علته خضرة قيل قد طحلب وعرمض وعلق ويقال بئر ذات حائل اذا كان فيها دور وهي حروف بلارة وعرش البئر جانبها التي يستظل بها عليها يطرح الثمام قال الراجز :

اكل يوم عرشها مقيلي   حتى ترى المئزر ذا الفضول
مثل جناح السيد الغسيل

ويقال عشوشة وهو بئر كرم اي اكرموها وبئر مجهودة اذا نقيت حتى حمأتها ويقال حرثتها فقد جهدت بغير جهد والاداة حجر يجعل في مصب الدلو لئلا يخرق الماء الفرص وهو في بئر الماشية والابل وفي بئر الزرع واللقف والدعامة مقام الساقي في اعلى البئر وانما سميت دعامة لانه يدعم جانبي البئر ليمسكه وهما شجرتان يدعمان طي البئر قال الشاعر :

لما رأيت انها[3] لاقامه   وانني ساق على سامه
حدث جذما[4] زعزع الدعامه

والمثابة مقام الساقي انشد ابو الجراح .

يا عين بكي عامراً يوم النهال   قام على مثابة زلج فزال

والشجر خشبتان على جانبي البئر عليهما عارضة ودون العارضة بقدر ذراع او ذراعين

---

(١) ابصرت نسخة (٢) ومنه سميت الاحساء البلدة الشهيرة قرب البحرين لكون مياهها كذلك (٣) انه نسخة (٤) نزعت نزعا نسخة

عارضة اخرى والعامتان خشبتان فيما بين الـ[illegible] في كل جانب واحدة وتلك العامتان وفيها المحور والمحورة عود يجعل الى العارضة وانشد

ولا الزناد الحجر الاجاردا   بغرب او دق العامة الساجدا

واذا كانت عارضتا البكرة وعضدها من حديد تكن او خشب الواح فيهما سا البكرة اذا كانت على ركية جرور فهي محالة الابل واذا قوائم او خشبة مدورة عظيمة فالمستان فيها كالمستن الرحى قال الشاعر .

كأن صوت ثأيه الاذب   صريف خطاف شعوف

وقال الخذي يجري عليه الحبل من البكرة المحور واذا كان الخطاران من بناء طين او حجارة فهما الزرنوقان والقرنان قال الشاعر

تشل القرنين المطرة بها   الحجال ام صدرا تراها

واذا وقع الحبل من البكرة وعضدها قيل مرس الحبل وامرسته انا فيقال امرسه اي اخرجه قال الشاعر .

بئس مقام الشيخ امرس امرس   اما على قعو واما اقعنسس

والمرس اسم الحبل قال ابو العباس امرسه البكرة بين الخطاف والبكرة وامرسه اخرجه وقد مرس الحبل نفسه قال الشاعر .

ولا تشدوا الى الارض بيا اني   اخاف عليكم الابنى حين تمرس

قال ابو بكر بن الانباري ليس من الكتاب

ولا تقعوا الى الارض بيا اني   اخاف عليكم حقي حين تبس

* * *

هذا آخر كتاب صفة البئر عن ابن الاعرابي

في ارض الجليل

من دمشق ركبنا قطار السكة الحجازية قاصدين الى بلاد الجليل فاجتزنا سهول حوران وجرنا من وادي الاردن واليرموك الى البلاد التي سرنا بها تنبعث النفس الى النظر فالعين الى الجمال والفكر الى التأمل بما جرى فيها من الوقائع والحوادث في سالف الاعصار وان ارضاً اخرجت رسولاً كالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام لكانت مهوى افئدة ابناء النصرانية في العالم على اختلاف الاجناس وانها لحرية بان تزار مهما شطت بقاصديها الديار لا سيما وهي الآن على بعد ساعات في القطار الحديدي . وان بلاداً مضى على بني اسرائيل الوف من السنين وهم لم ييأسوا من استرجاعها لجديرة ان يحج اليها كل من يروم البحث في اجتماع الامم وتقدمها

يحد بلاد الجليل شرقاً الاردن (١) وجنوباً الكرمل وحقل ازرعيل (٢) وغرباً بحر الروم وشمالاً فينيقية ولبنان وتسمى هذه البلاد جليل الامم لكثرة الامم فيها وفي الجليل تربى يسوع وفيها صرف اكثر مدة حداثته حتى سمي قديماً جليلياً وكان تلاميذه جليليين ما عدا يهوذا الاسخريوطي واشتهر الجليليون بشدة البأس فقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي كان هو نفسه جليلياً انهم كانوا يتمرنون في استعمال كل انواع الاسلحة منذ الصغر . وقد اشتهروا بشدة مقاومتهم للرومانيين وبعد خراب اورشليم التجأوا الى مجامع الجليل فاصبحت دار العلوم اليهودية ونقل اليها السنهدريم مجمع الامة العظيم فحل اولاً في اوشه وهي الآن خربة هوشه قرب شفا عمرو ثم نقل الى شفرعام وهي الآن شفا عمرو ثم الى بيت شعرام وصفوري وطبرية وكانت الجليل مقسومة الى قسمين الجليل الاسفل وطولها من طبرية الى زبولون قرب عكا وعرضها من قرية كسالوت قرب تابور الى بير سبع (غير بير سبع في الجنوب) كان فيها على رواية يوسيفوس ٢٠٤ قرية وفي اصغرها ١٥٠٠٠ من السكان والجليل الاعلى طولها من بيلون غرباً الى طلة قرب الاردن شرقاً وعرضها من بير سبع جنوباً الى بقعة في حدود ارض صور شمالاً

ومعنى الجليل بالعبرانية الدائرة او الناحية (٣) وكانت تطلق عامة على القطر الشمالي

---

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

(٢) دليل الارض المقدسة للاب ميسترمان - P. Barnabé Meistermann. Nouveau Guide de Terre Sainte 1907

من ارض الموعد وفيها عشرون مدينة اعطاها سليمان لحيرام ملك صور لقاء خدمته في عمارة الهيكل في القدس وكان يسكن هذه البلاد جمهور من الوثنيين ومن هنا اشتق اسمها جليل الامم. وكانت بلاد الجليل تمتد في عهد يسوع الى اكناف بحيرة طبرية ثم دخل فيها سهل يزرعيل (مرج ابن عامر) والى ما قبيل المسيح كانت عبارة عن ارض اشير ونفتالي وزبولون ويساكر وظلت منقسمة الى جليل اعلى وجليل اسفل الاول يمتد الى شمالي الخط الممتد من عكا الى كفرناحوم والثاني يدخل فيه القسم الجنوبي

ويمكن في الجملة ان يقال ان ارض الجليل هي اليوم في الجهة الشمالية من بلاد فلسطين بين وادي عكا ونابلس والى الجهة الغربية من نهر الاردن ويدخل فيها قضاء صفد وقضاء طبرية وقضاء الناصرة وبعض قضاء جنين ومن اعمالها مرج ابن عامر. وكانت اهم مدن الجليل بطولمايس التي سميت فيما بعد عكا وصفورية والناصرة وكفركنة ومجدل وكفرناحوم ويسكنها الآن مزيج من فرق مختلفة واهم عناصرهم اليهود والاسوريون وكان هذا الاقليم في عهد ظهور النصرانية عامراً آهلاً بالسكان مزهراً وله حياة سياسية كما له حياة دينية وجميع انواع الديانات والمذاهب تجري فيه حرة مطلقة لا تقوى [illegible] عليها امرها وتكثر فيه النباتات والزهور من كل نوع وفيه غابات كثيرة كان يخرج منها خشب السفن

وعرف العرب ارض الجليل بجبل الجليل قال ياقوت: جبل الجليل في ساحل الشام ممتد الى قرب حمص كان معاوية يحبس في موضع منه من يظفر به ممن ينبز بقتل عثمان وقال ابن الفقيه وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر ويقال ان بها التنور وجبل الجليل بالقرب من دمشق ايضاً وهو جبل يقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان بالاردن فهو جبل الجليل وهو بدمشق لبنان وبحمص سنير. وهذا التعريف اقرب الى الجلاء من غيره. وقال ابن عساكر ان جبل الجليل من اعمال صيدا وبيروت من ساحل دمشق. وهو تعريف حسن في الجملة [illegible]

فلولا ربنا كنا يهوداً   وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى   مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا اذ خلقنا   حنيف ديننا عن كل جيل

معجم لاروس الجديد Nouveau Larousse illustré

قلنا ان ارض الجليل كانت معترك الامم والاديان من قديم الزمان ولقد جاء عليها عهد ايام الرومان كثرت فيه الاديار والبيع والمعابد مبثوثة في كل بقعة من بقاعه، وقرية من قراه ولما فتحها المسلمون عاملوا اهلها بالرفق واقروهم على عاداتهم وشأنهم في شعائرهم. ولكن دالت الدول وكرت الاعصار بحيث جيشت ملوك اوربا على الشرق جيوشها في القرون الوسطى وكانت الحرب الصليبية سجالاً بين المسلمين والصليبيين في هذه الارض مدة قرنين فلا عجب اذا شهدنا اسوار المدن مهدمة وآثار البيع والاديار معفاة دائرة واشجار ذلك الصقع وغاباته مدمرة وكثيراً من هذه قرى صغيرة ومزارع بائرة

خربت هذه الديار بادوار اتت عليها كان القول الفصل في سياسة حكومات الارض لرجال الدين وكان اهل الصليب من امم اوربا كلما ارادوا ان يرجعوا اوطانهم ويتخلوا عن هذه الارض يجتز ارواحهم حائز من المشورة والسياسة ومن لف لفهم من حملة الدين فيلقون بانفسهم في مآزق صعبة ويركبون الى نيل اوطارهم كل ذلول وصعبة فتردهم جيوش المسلمين عن استباحة حمى الاسلام لان فلسطين او سورية اذا ملكها الافرنج يضيع الاسلام المسجد الاقصى ويوشك ان يكون الخطر محدقاً بالحرمين الشريفين مهبط الوحي والرسالة ومحج اهل الاسلام من العالمين ولذلك هاجم الصليبيون هذه الديار بسائق الدين ودافع عنها المسلمون بسائق الدنيا والدين فكتبت الغلبة لاهل هذه البلاد وقل ظفر مهاجم ورجع الدخلاء عنها مدحورين ولكن بعد ان خرب العامر والغامر واصبحت قفراء جرداء لا تجد فيها خضراء ولا غضراء.

ولقد كانت طبرية عاصمة الجليل وهي اول مذكور من مدن تلك الارباض أسست عام ١٧ للمسيح على يد هيرودوس انتيباس حاكم الجليل الذي جعلها عاصمته وسماها بالاسم الذي عرفت به الى اليوم اكراماً لطاغيه الامبراطور طيباريوس الروماني وكانت المدينة جنوبي موقع المدينة الحالية ولا اي حوالى الحمامات المعدنية ويسمى اليوم ذلك المكان بخربة الحمام وذلك لانه اكتشفت مدافن مقبورة في مكان المدينة القديمة فابى اليهود ان يسكنوها لان خرقوا حرمة المدافن يعد عندهم من الكبائر ولم يستطع هيرود ان يسكن طبرية لاول انشائها الا اناس من طغمة واسافل العوام ليمنحهم انواع الاحسان والصدقات عليهم الاعطيات ترغيباً لهم ولما توفي عليها عهد الامبراطور نيرون الى اغريبا الثاني بالولاية عليها سنة ٤١ فلم يكن منه الا ان انحط طبرية عن مكانتها واختار صفورية لتكون عاصمة الجليل

ولما انتقض اليهود على الرومانيين عهد الى المؤرخ يوسيفوس ان يكون والياً على

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(١) معجم البلدان

(٢) دليل الأرض المقدسة

الاخرى وما زالت هذه المدينة بالانحطاط حتى ان الرحالة [illegible] لما زارها سنة ١٦٢٠ لم ير فيها احداً من اليهود ووجد سكانها كلهم من المسلمين

وحكم طبرية ظاهر العمر حاكم عكا وهو الذي بنى سورها الحالي سنة [illegible] وجدده ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٣ ولكن اصيبت بعد اربع سنين من هذا التاريخ بزلزال [illegible] وكان [illegible] وقبل سكانها المسلمون [illegible] من اطراف الارض وهم اليوم اكثر من ثلاثة ارباع سكانها لا يقلون عن سبعة آلاف [illegible] والروم وغيرهم

وما في طبرية [illegible] ما يدل على [illegible] حماماتها [illegible] التي [illegible] من عجائب [illegible] هذه التي [illegible] في جانب البحيرة المعروفة اليوم [illegible] واما التي من الجانب الثاني [illegible] الحمام [illegible] وهي [illegible] حارة [illegible] وهو هيكل [illegible] من [illegible] من الذين عشرة [illegible] كل [illegible] فيها صاحب ذلك المرض [illegible] الله تعالى والماء [illegible] الى [illegible] المرضى [illegible] هذه الحرارة [illegible]

فما وراء [illegible] الحمامات [illegible] بعيدة عن طبرية وهو من عجائب الدنيا [illegible] في الوادي [illegible] على طريق الخط الحديدي [illegible] متر ٨٣ و [illegible] في وسط [illegible] حارة [illegible] حارة [illegible] حمامات [illegible] الى [illegible] حمة [illegible] سليمان بن داود عليه السلام [illegible] من كل [illegible]

وهذه الحمة الاخيرة التي [illegible] سليمان [illegible] اليوم معروفة بحمام سيدنا سليمان وهي احدى الحمامات [illegible] على نحو [illegible] الى [illegible] في الشمال [illegible] وهو عبارة عن حوض كبير [illegible] بثقوب [illegible] ٦٢ [illegible]

---

(٢) [illegible] ص [illegible]

براق في الجلد طعم الماء مر ممزوج وتنبعث منه رائحة شديدة من حامض الكبريت او رائحة بيض فاسد . وهذه الحمامات ملك الحكومة تؤجرها من تريد [illegible] في السنة ولها مغاطس في مكان آخر قد يغير صاحب الحمام مياهها في الاسابيع ولكنها كسائر اقسام الحمامات الاربعة غير صحية لانه كثيراً ما يجتمع فيها من ارباب الامراض المختلفة ينزلونها في وقت واحد ويخشى ان تسري جراثيم بعض الامراض الى جسم من كان منها سليما فيجدر بالبلدية في هذا البلد من حيث يزيد الريع ان ترتب هذه الحمامات ترتيباً صحيحاً كما هو الحال في حمامات البلاد في اوربا وبروسة في الاناضول وحلوان في مصر وأنشئت هنالك كما هو رأي بعض المفكرين في ارباب هذه البلاد للانتفاع بخصائصها الطبيعية فنادق وحدائق واماكن تتوفر فيها شروط الراحة ومرافق الحياة للمستحمين في هذه الحمة من قطار الارض كما تنتاب حمامات بروسة وحلوان ومارينباد وباد

وموسم الاستحمام بهذه الحمامات من اول كانون الثاني الى آخر حزيران[1] وتختلف الحرارة في الصيف في طبرية من [illegible] الى [illegible] ولكن الهواء حسن في الجملة فلا يؤثر في سكانها الاصليين كثيراً تأثيره في الغرباء [illegible] صدق ما قاله فيها ابو [illegible] انه [illegible] طبرية قصبة الاردن [illegible] وهي [illegible] بين الجبل والبحيرة فهي ضيقة كربة في الصيف وخمة وبئة وطولها نحو من فرسخ بلا عرض وسوقها من الدرب الى الدرب والمقابر على الجبل بها ثمان حمامات بلا وقود [illegible] والجامع في السوق كبير حسن وارضه مرصوفة بالحصى [illegible] حجارة موضوعة ويقال ان اهل طبرية شهرين يرقصون من كثرة البراغيث وشهرين يلوكون يعني [illegible] كثرة الذباب وشهرين يلفقون يعني بايديهم يعني يطردون الزنابير عن طعومهم وحلاواتهم وشهرين عراة يعني من شدة الحر وشهرين يزمرون يعني يمصون قصب السكر وشهرين يتوحلون من كثرة الوحل في ارضهم قال واسفل طبرية جسر عظيم عليه طريق دمشق وشربهم من البحيرة وحول البحيرة كلها قرى متصلة ونخيل وفيها سفن كثيرة وكم كثيرة الاسماك [illegible] اهلها والجبل مطل [illegible] البلد وبحيرتها قلب ليس بحواله.

ويرى الاطباء المتمرنون ان مياه طبرية الحارة تنفع النساء في وظائفهن التناسلية وتنفع في كل الشفاء من الاوجاع العصبية الحادة والمزمنة ومن امراض الرئة والروماتيزم ومن ضعف المجموع العصبي ومن داء النقرس ومن البول السكري ومن المرة السوداء

---

(١) تقويم سالنامة ولاية بيروت الرسمي لسنة ١٣٢٦هـ.

« لا يتعدونها » ومن [illegible] ومن الادواء العصبية التي هي في حال التوقف كما انه نافع في اضطراب [illegible] وقد ثبت انه يزيل بعض امراض الاعصاب والحمرة الزمنة والامراض الجلدية ويعيد النشاط والحركة [illegible] في الرحم والبول الزلالي والتدرن الرئوي وغيرها

البحيرة طبرية [illegible] الاردن [illegible] الغور [illegible] الاردن في طريقه [illegible] من قيسارية [illegible] الى بحيرة الحولة [illegible] امتار تحت سطح البحر المتوسط وعمق البحيرة [illegible] في وسطها [illegible] في الجمع الحارة [illegible] من البحيرة [illegible] الى الاردن في البحيرة ساعة [illegible] ساعة ونصف

وطول البحيرة ٢١ كيلومترا من الشمال الى الجنوب وعرضها [illegible] كيلومترات ونصف الى ان مساحتها السطحية [illegible] كيلومترا مربعا ومياهها عذبة تشرب في الفصول الاربعة وفيها كثير من السمك الجيد والجبال التي تحيط بالبحيرة في الجنوب الغربي تنفرج عنها في الشمال الغربي [illegible] Genezareth الخصيب [illegible] مدينة [illegible] وفي الشمال من البحيرة سهل [illegible] الاردن [illegible] بحيرة الحولة [illegible] Merom [illegible] Gaulanitide [illegible] الاردن [illegible]

وكان اسم هذه البحيرة في القديم كنرت اشارة الى شكلها البيضي الذي يشبه عود الطرب واسمه بالعبرانية كنور على ان هذا الشكل عام في جميع البحيرات التي تحيط بها الجبال [illegible] وكانت كنرت معروفة [illegible] من مدن الكنعانيين [illegible] البحيرة بحيرة [illegible] من اسم السهل الخصيب الذي على شواطئها من الشمال الغربي وسميت في العهد الجديد بحر الجليل وبحيرة طبرية وهذا الاسم هو الذي [illegible] العرب

ولم يخل هذا البلد وحواليه من رجال في الاسلام ولدوا ونشأوا وكانت لهم

د في خدمة المسلمين مثل الامام الحافظ سليمان بن احمد بن ايوب بن مطير ابي القاسم الطبراني « احد الائمة المعروفين والحفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين ومشايخ المعمرين الصادقين المحدثين والثقات الاثبات المعدلين » وغيرهم ممن بقي الدهر والخلف يتناقل عن السلف أعمالهم

وكان الاردن على عهد الفتح الاسلامي احد اجناد الشام الخمسة[1] وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قال احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف هما أردنان أردن الكبير وأردن الصغير فاما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية وبينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلاً تجتمع فيه المياه من جبال وعيون فتجري في هذا النهر فتسقي اكثر ضياع جند الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية في طرف جبل يشرف على هذه البحيرة فهذا النهر في الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر نحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلهم السكر ومنها يحمل الى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بيسان وقراوا واريحا والعوجاء وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طاقات كثيرة تزيد على العشرين ويجتمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهراً واحداً فيسقي ضياع الغور وضياع البثنية ثم يمر حتى يصب في البحيرة المنتنة في طرف الغور الغربي وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك . وقد فتح طبرية لما انتقضت عمرو بن العاص كما فتحها الاول صلحاً شرحبيل وكذلك جميع مدن الاردن وحصونها ففتح بيسان وافيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور وصفورية وغلب على سواد الاردن وجميع ارضها .

في وادي الاردن بين قرية لوبية وطبرية في سهل قرية حطين وقعت الوقعة الهائلة بين جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين وعلى رأسهم صلاح الدين التي قال فيها مؤرخو الصليبيين انها كانت في اوائل من تموز سنة ١١٨٧ وكان جيش الافرنج مؤلفاً من الفي فارس وخمسين الف راجل اشتد بهم العطش لقلة الماء هناك وبرحت بهم تباريحه قبل الوقعة بيومين وهبت عليهم ريح شرقية وهي المعروفة بالخماسين فمن لم يسلم الروح

---

[1] ياقوت الحموي

ظفراً صاحبها بالسيف وانهزم الكنت ريموند صاحب طرابلس واستولى صلاح الدين على الاكثر وقتل من ملوكهم صاحب الكرك رنودي شاتيون الذي كان غزا الحجاز واحب فتح الحرمين فنذر صلاح الدين ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان واستباحت سائر المواقع لارادة الجيش الصلاحي

وكان صلاح الدين قد نازل طبرية ونقب بعض ابراجها ونهب المدينة واحرقها فلما سمع الفرنج بذلك اجتمعوا للمشورة فاجمعوا على التقدم فركبوا واشتد القتال وصبر الفريقان (١) ورمى جاليشية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر والافرنج يقاتلون سائرين نحو طبرية لعلهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عنه وكان بعض المتطوعة قد القى في تلك الارض ناراً وكان الحشيش كثيراً فاحترق وكانت الريح عليهم فحملت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال فلما انهزم القمص (الكنت) سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين على كثرتهم عن مواقفهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم فوهنوا لذلك وهناً فارتفع من بقي منهم الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم هناك فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام فيما يقول فكان اخذه من اعظم المصائب الى ان اسر المسلمون من نجا من حد السيف وفيهم الملك واخوه والبرنس ارنط (ارنولد) صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد منه عداوة للمسلمين واسروا ايضاً صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من اعظم الفرنج شأناً واسروا ايضاً جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية (الاسبتالية) وكثر القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحداً ومن يرى الاسرى لا يظن انهم قتلوا احداً وما اصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة احدى وتسعين واربعمائة الى الآن (٥٨٣) بمثل هذه الوقعة قال ابن الاثير : ولقد اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملأى من عظامهم تبين على البعد منها المجتمع بعضه على بعض ومنها المتفرق هذا سوى ما جحفته السيول واخذته السباع في تلك الآكام والوهاد

---

(١) الكامل لابن الاثير

واختلفت الروايات في مقدار عسكر صلاح الدين والصحيح على انه كان نحو جيش الصليبيين اي يزيد على خمسين الف مقاتل (١) الا انه كان يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف مقاتل واجتمع عسكر الصليبيين في الجليل في صحراء صفورية اولاً الى ان كانت هذه الوقعة التي لم [illegible] قائمة وسقطت مدن الجليل بيد الجيش الصلاحي واحدة بعد اخرى مثل عكا والناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والطور وغيرها من البلاد المجاورة لعكا قال العماد الاصفهاني : (٢)

وكانت الفولة احسن قلعة واحصنها واملأها بالرجال والعدد واصحابها هم الداوية حصن حصين ومكان مكين وركن ركين وطود منيع ومرتع مريع ومعقل مشيد ومهاد مهيد وفيها مشاهدهم ومصانعهم ومقراتهم ومضاربهم ومرابط خيولهم ومجر ذيولهم ومجرى سيولهم ومجمع خيولهم ومشرع سبيلهم وموضع صلبانهم ومورد جنتهم وقد جرتهم لما التقى يوم المصاف خرجوا بأجمعهم الى مصرعهم . والتقوا بأن الكفر لا يتكي من صقع مشرعه فلما كسروا واسروا وخسروا ونحروا طالت [illegible] الله بجنود قلوبها [illegible] [illegible] وجريدها سيوف السلطة ولم يبق بها الا رعايا رعاع وطغام واتباع واوباش ضعاف ففقدوا امكان حماية المكان ووجدوا انفسهم في الاستئمان [illegible] الحصن [illegible] الى السكان وكانت فيه اطيار الحذار وتقنس الاعلاق [illegible] [illegible] ومن الميثاق وخرجوا [illegible] دخلوا في الاسلام لا حين السلامة راجين وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجنين وزرعين والطور و[illegible] وبيسان و[illegible] وجميع [illegible] وعكا من الولايات الزيب ومعليا و[illegible] و[illegible] [illegible]

هذه في عاصمة الجليل وهذا طرف من تاريخها [illegible] في القديم اما اليوم فحالها حال ارض [illegible] لا تكاد تجد فيها شجرة مع انها كانت قديماً كثيرة الاشجار الى ان تخيل المرء كثرتها لا تعداد [illegible] يفقد من ارض جليل الاسم الا [illegible] سواحل البحر وهناك تجد طريقاً [illegible] وقد حفت [illegible] الجميلة بالاشجار [illegible] [illegible] هواؤها وراق [illegible] منظرها واصبحت [illegible] [illegible] [illegible] حد [illegible] الاهالي [illegible] [illegible] الا [illegible] من [illegible] [illegible]

---

(١) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس (٢) الفتح القسي في الفتح القدسي
(٣) [illegible] ترجمان [illegible]

قال لنا احد اصدقائنا من علماء دمشق في الاقتصاد والعمران زرت طبرية منذ اثنتين وخمسين سنة وزرتها منذ سنتين فلم اشهد فرقاً في عمرانها بل رأيتها جامدة لم تتحرك ولولا فندق لالماني ومستشفى للانكليز لرسمت الطبرية نفس تلك الصورة التي كانت في ذهني منذ نصف قرن وهو ما اشكوه من بطء بلادنا في نهوضها وعمرانها نجد القرى في هذه الحقبة من الزمن قد تغيرت صورتها وانبسطت رقعتها وحسنت ولو بعض الشيء بقيت الناصرة في الجمود بعينه ولم يزدها الا جالية من يهود الغرب نزلوها مهاجرين وكان المسكن الذي يتولاه خمسة انفس يؤوي الآن عشرين فتضايق السكان وفسد الهواء واستحال الماء وافتقر اهل البلاد الاصليين لان لسان حال الاسرائيليين والصهيونيين خاصة مع جميع الشعوب كما قال ذلك السامري « لا مساس »

كان من حق الناصرة ان يسبق الكلام عليها لانها اليوم اعمر بلاد الجليل ومهبط النشأة ام النصرانية ولكنها بلد حديث بالنسبة لبلاد الجليل بدأ مجدها لانها كانت موطن مريم العذراء عليها السلام وفيها عاش المسيح الى الثلاثين من عمره ولم يرد لها ذكر في كلام قدماء المؤرخين ومعنى الناصرة الفرع او الزهرة وهي على ثلاثة عشر ميلاً من طبرية ممتدة على شكل نصف دائرة في سفح دائرة من الآكام العالية وبيوتها بيضاء نظيفة تحيط بها اشجار الزيتون والتين والصبار وبذلك تألف منها صورة مليحة لا تتعب العين من النظر اليها

قال رنان (١) : كانت الناصرة بلدة صغيرة واقعة في طية ارض منبسطة على متن بعض الجبال اما سكانها فانهم يبلغون اليوم اربعة آلاف نسمة (٢) فكأنهم سكان الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفوس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة وان كان هذا القول لا يخلو من مبالغة . والبرد في الناصرة شديد في زمن الشتاء ولكن الهواء جيد جداً وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنظرها شبيه بمنظر القرى الاسيوية وربما لم تكن منازل الناصرة تختلف عن المنازل الحجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العامرة والتي اذا اضيفت اليها اشجار الكرمة والتين المغروسة بجانبها كان لها منظر رائق .

---

(١) تاريخ المسيح تعريب فرح افندي انطون

(٢) هذا في زمن رنان وقد ساح في سورية وفلسطين ولبنان بين سنتي ١٨٦٠ و١٨٦١ وسكان الناصرة اليوم عشرة آلاف

اما المكان الذي نبت فيه الناصرة فانه مكان شائق وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في العبادة والراحة . ولا تزال هذه المدينة الى اليوم منظراً جميلاً . اما سكانها فهم قوم ألفوا اللطف والبشاشة وحدة الذهن والارادة حضراً . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فشبه ارضها بارض الجنة من فرط خصبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خصيبة يطلق عليها وصفه

اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكانت حولها السرور شاملاً فقد هدمت ولا يجري الآن من فيها سوى ماء كدر واما جمال النساء الناصريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء من ذلك الجمال الذي كان مشهوراً عنه في القرن السادس عشر فهبة الناصريات من مريم العذراء فانه لا يزال يتألق في وجوههن وبذلك الشكل السوري الجميل في اتم حلته .

ولا مرية في ان العذراء كانت تقف في صباها بين اولئك النساء حول العين وهي حاملة الجرة في يدها . وقد قال انطونين مارتير ان نساء اليهود يكرمن المسيحيين في هذا المكان مع انهن يكرهنهم كرهاً شديداً في غيره . فكان هؤلاء وطن السيد لطف الاخلاق . واذا نظرت في البغض الادبي وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة .

واما منظر الافق من المدينة فانه قصير ضيق ولكنك اذا صعدت الى الآكام المشرفة عليها انبسط امامك منظر جميل يسحر الالباب فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل الكرمل ممتداً الى البحر داخلاً فيه دون غيره من الجبال وبينها وادي الاردن وسهول طبريا المرتفعة . اما في جهة الشمال فانك ترى جبال صفد متجهة نحو البحر وثم تستتر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا .

هذا كان افق يسوع . فهنا كان في صباه ينظر العالم امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية . فاذا [illegible] في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة الشكلية فيها باماكن حقيقية فما عليه الا ان يبني كنيسة على هذه الآكام التي كان يسوع يطل عليها ويشاهد العالم منها . هناك يجب ان تقام الكنيسة الكبرى التي يجب ان يحج اليها المسيحيون من جميع اقطار العالم . هنالك حيث [illegible] الناصرة الحقيقيون يحق للفيلسوف ان يقف ويتأمل في مجرى حوادث العالم الرمزي [illegible]

عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في امر ما يكون لحبه ولكي يتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يعوقه شيء مهما قام في سبيله من المتاعب والعثرات اه .

هذا ما وصف به فيلسوف الفرنسيس الناصرة بلد يسوع الناصري كما كان يقال له والتي منها اشتق اسم النصارى [1] وهو وصف ينطبق كل الانطباق على حالتها اليوم الا ما جاء عفو الخاطر فكان اشبه بتشبيه شاعر خيال قوله في مكان الناصرة انه «ليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في السعادة والراحة» وظني ان مثل هذا القول صح انطباقه على جبال سورية عامة بل على جبال الارض كافة فهي كلها تبعث الروح على التأمل لفراغ الذهن فيها من كدورات المدن وزحام الناس وما تقع عليه العيون من المناظر الشائقة في هذا الوجود الغريب وكيف كانت الطبائع والقوى تعمل يقدر على ما قال شأنه وتربيته التي قل ان يجود بها انسان مهما نزع ربقة القيود والتقاليد ولكن هذا القول لا يقدح في جمال هذا البلد الطيب واي بلاد تعجب لاهلها .

اما تاريخ الناصرة فمرتبط كل الارتباط بتاريخ الجليل بعد ارتفاع حروب كسرى وهرقل وتبور هذا الاقليم بعد من غاراتهم وتخريبهم وقد قال بعض مؤرخي الافرنج ان التسامح الذي اسداه المسلمون للمسيحيين ابتدأ منه معاوية حتى ان ويليبالد وصل الى الناصرة سنة ٧٢٥ ولم يجد فيها كنيسة فخمة ومع هذا ذكروا بانه كان فيها سنة ٨٠٨ ثمانية عشر راهباً

وتغلب الامبراطور يوحنا زيميسكس على العرب واستولى على سورية وفلسطين واحتل طبرية عام ٩٧٥ وجبل تابور والناصرة ولكن ادخل عليه بعضهم السم فعادت الولايات التي افتتحها فسقطت في ايدي العرب . وقد قال طائفة ان تنكرد الذي فوضت اليه مملكة القدس بلاد الجليل سنة ١١٠٠ كانت معاهد الناصرة قد خربها العرب ولم يبق الا بعضها فشاد الصليبيون بناءها واتخذوها كنيسة عامة لهم . ولما افتتح ارض الجليل السلطان صلاح الدين بعد وقعة حطين اخذت الناصرة ايضاً اليه تفضلاً على اهلها وفي خلال هدنة العشر سنين المعقودة بين الصليبيين وصاحب مصر في ١٨ شباط ١٢٢٩ اصبح فردريك الثاني امبراطور المانيا الحاكم المتحكم بالطريق من عكا الى الناصرة فزار هذه المدينة على انها كانت فقط حصناً منيعاً

---

(١) ياقوت في المعجم والمقريزي في الخطط

وفي شهر آذار ١٢٦٣ قدم من مصر في جيش هائل صاحبه الملك الظاهر بيبرس البندقداري وعسكر في الطور جبل ثابور وبعث [illegible] مستوطني برجاله يخربون البيع والاديار فاستولى الرعب على المسيحيين الى ان يدعوا الاسلام ولكنهم ابوا ووقعت فيها مقتلة عظيمة [illegible] الاديار [illegible] اوربا باحاديث يقصونها عما لقيه المسيحيون والرهبان من الظلم الى القرن الخامس [illegible] الظاهر [illegible] الخليل [illegible] في كنائسهم وعباداتهم [illegible] من عيث البدو الذي [illegible] الى الناصرة [illegible] في عقر دارهم .

والكنيسة الناصرة هي في الحقيقة [illegible] الاديار [illegible] فيها وقد قوي سلطانهم [illegible] بيروت وعصر [illegible] سنة ١٧٨٩ [illegible] باحد قواده يعسكر في الناصرة [illegible] الامتعة [illegible] الاديار من [illegible] في الحرب [illegible] اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وما منهم الا من [illegible] حتى بلغت اربع عشرة بيعة وكنيسة ومعظمها من [illegible] البناء وحسن الرياش ما يذكر بقصور الملك ومنازل المترفين [illegible] والرهبان [illegible] في الناصرة [illegible] الآثار التاريخية فيها ويكفي انها اليوم من آثار [illegible] في القرون الوسطى

وفي الناصرة [illegible] من المسيحيين [illegible] الذكور والاناث [illegible] المدارس [illegible] من اي [illegible] الاسبوع [illegible] الكثيرون من [illegible] من الجنسين اكثر من [illegible] في سورية [illegible] الانباء [illegible]

وقد اتصلت الناصرة اليوم بالسكة الحديدية مع حيفا [illegible] الآن اول [illegible] الى القدس [illegible] الناصرة [illegible] ويكون من ذلك الحكومة والامة [illegible] مدتي [illegible] سنة ثمانية [illegible] من ربع [illegible] بعشرات الالوف من جمهور الراغبين المسيحيين . « للبحث صلة »

* * *

غابات سورية

تشجير اراضي السلطنة من اهم المسائل الاقتصادية المهمة التي يجب ان نصرف لها عناية العثمانيين وحكومتهم فقد تسهل الناس بقطع الغابات ولم تعن الحكومة بالمحافظة عليها حتى اتى السكان او كادوا في اكثر الاقاليم على ما في ملك الاجداد من الغابات الغناء فكاد الخطر يحدق بحياة البلاد الاقتصادية ويوشك ان يستفحل الخطب لهذا الاهمال

قال العارفون ان في المحافظة على الغابات نجاح الزراعة والتجارة والمعامل والصناعات والملاحة الحربية والتجارية والمناجم وجميع اسباب الراحة في الحياة بل وحياتنا ايضاً. ودعا المحدثون من الاقتصاديين والمفكرين في الغرب الى حفظ الغابات فقالوا ان حفظها من اول مصالح المجتمعات وحفظها اول الواجبات على الحكومات واثبتوا انه كلما قطعت من بلد اشجاره يمسي فقيراً لان في قطع الاشجار التي تغشى منحدرات الجبال وقممها ثلاث مصائب لابناء الاجيال المقبلة: قلة الوقود وقلة المياه وامتداد البلاد الفيضانات المخربة فحياة البشر منوطة بالاشجار والامم التي تحب الغابات هي من الامم العاقلة التي تحسب للمستقبل حسابه وبقدر عراقة الافراد في الاخلاق والتقاليد يجعلون لهم منها رؤوس اموال فيلمحون بها ويرتاشون

ابادة الاشجار جائحة من جوائح الانسان وبذلك اضمحلال الامم والاحتفاظ بالغابات والآجام هو تطبيق لمبدإ التضامن الاجتماعي وقانون التكافل الذي يربط الاجيال بعضها ببعض قال الوزير كولبر الفرنسوي ذات يوم وقد رأى قلة عناية امته بغاباتها: ان فرنسا ستهلك من قلة الاحراج

وليس معنى ابادة الغابات حرمان بلادنا من اجمل حليها بل انضاب ينابيع الانهار واختلال نظامها اختلالاً فيه الهلاك والخراب والاضرار بالصحة العامة وتغيير وضع الارض التي تحملها ويزيل كل التربة الصالحة منها في الآن بهجوم المياه عليها دفعة واحدة وهو من اعظم الاخطار على التربة المنحدرة. ومتى عري الجبل من اشجاره يهلك الزرع والضرع معاً فتجري السيول في التربة الجرداء تحمل معها اولا التربة الصالحة للزراعة ثم تمرح ما بين الصخور وتحمل الاحجار ركاماً مشرفاً على الاودية ويصبح النهر سيلا تكثر مياهه فتفيض ايام الامطار وتسيل بدون نظام مؤدية بكل ما في طريقها وتتزايد زيادة هائلة فتفيض في السهول وهناك الفيضان والطوفان وتنقطع الامواج بتيارها

الاشجار والصخور وتخرب السدود وتودي بالدور والقصور وتقلع المدن من أساسها . تجري مياه الامطار على الصخر الشاحل كأنها تمشي على سطح دار وتخرب المراعي وتفيض الانهار حاملة تربة الجبال وحصاها واحجارها فتطفح بها مجاري المياه وتسد مصابها وبعد ان تفيض السيول كثيراً تصبح ولا ماء فيها وتختل نظام الاهوية ويتكون من ذلك خراب سريع للجبل وزوال السهل وتغور الثغور والمدن وصحاريها . من اجل هذا شاع الآن القول انهم كثيرو منشغلين في امر جرد الاشجار وتربية الجبال .

ولقد كانت في كل عصر عبر كثيرة من جرد الجبال من اشجارها وغاباتها قال احدهم (١) كانت صقلية وافريقية الشمالية والغرب الاقصى اهراء رومية في القديم واصبحت قاحلة ماحلة بما توالى عليها من غارات الاحتلال والحروب التي انتهت بتحطيم الغابات وكل ما يشاهد من الخرائب العظيمة في تونس والجزائر وبعض المدن قسنطينة وفي غيرها شاهد عدل على ان هذه الاقاليم القاحلة اليوم كانت زاهرة امس وفيها المدن العامرة تراها السقوط كأجسام بالية من ادارة اشجارها وكم من خرائب حفر فيها وهي رمال او اقاصي وشوهدت تحتها مدن كانت عامرة بخواصها الطرية وحدائقها الغناء وبساتينها الغناء فلما توالت الايام قطع غاباتها وسفت الرياح الرمال على تلك المدن فاصبحت كأن لم تغن بالامس

ولقد ضعف ان فقر البلاد وذهاب الخصب منها لشيء من قطعها الاشجار خاصة . ولا توغل المرء في دراسة التاريخ يجد الشواهد الكثيرة على تأثير الغابات في تكثير السكان فقد كانت بلاد اليونان وهي اليوم فقيرة قليلة السكان غنية بالغابات والانهار (٢) وان احداث الحقول الرومانية وجزائرها ناشئة من تجريد جبال الاپنين من اشجارها . وجبال الالب تقطع ايطاليا الى شطرين . وقد كانت اسبانيا انحطاط سريع من هذا الشأن فبعد ان كانت في القرن السادس عشر في عهد شارلكان وفيليب الثاني عامرة غنية عظيمة الخصب تراها في القرن السابع عشر وقد ان يحسبوا فقدوا او اشبع حولها أمة عارية لا يمكن طيها ترى الاقاليم التي جميع علامات الانحطاط وقل سكانها في صورة مدهشة فنزل سكان مدريد من الى مائة الف الى مائتي الف ثم والى القرن الثامن عشر والسبب في رجع السكان تلك المجاعة التي حدثت من الجفاف الذي دعا اليه تعرية البلاد من غاباتها تعرية عظيمة وعلماء الرأي حتى ان شهر [illegible] كان في القرن السادس عشر

---

(١) مجلة [illegible] (٢) جغرافية اليزه ركلوس بالفرنسوية

فبلاد البحر [illegible] السفن في على مقربة من مدريد فاصبح اليوم خلاء والقوم ليمزجون في اقليم اراغون الرمل بالخمر بدل الماء عندما يريدون ان يجبلوا الطين . فنفوس البلاد وعظمتها على نسبة عنايتها بغاباتها . وبلاد روسيا اكثر اوربا غابات لان اربعين في المئة من اراضيها مغشى بالاشجار و١٦ في المئة من ارض فرنسا وارض ايطاليا مغشاة بالاشجار و ٢٤ في المئة من ارض المانيا و٦ في المئة من ارض البرتغال و٥ في المئة من ارض فارس و ٣ في المئة من ارض اسبانيا وبلاد اليابان اكثر بلاد الدنيا غابات . وتبلغ مساحة الغابات في الولايات المتحدة خمسة اضعاف مساحة فرنسا ويحرق منها في السنة نحو ثلثمائة هكتار وكثيراً ما يلتهم قسم من غابة فتبقى الايام مشتعلة وربما حرقت فيها قرى بسكانها كما حدث في حريق البحيرة العالية وحدث هذه السنة فدام الحريق اياماً ذهبت فيه مئات الالوف من [illegible]

ليس من جميع النباتات التي تنبتها الارض ماعدا الحنطة التي هي اول المواد اللازمة لغذائنا نبات ضروري لنا كالغابات نفع بحمد اثره : فللشجرة منافع كثيرة وتأثير عظيم في الانواء والحوادث الجوية في كل قطر فهي تصفي مياه الامطار وتعيدها ببطء الى الينابيع والمياه وتحول بورقها وجذوعها دون جريتها سريعاً فالاشجار لاتمسك الماء فقط بل تجذبه ثم تنظم هطول الامطار وتقلل من الفيضان وتبقى التربة في ظل الاشجار ندية خلال ايام القيظ . وتنظم الغابات نظام الاهوية . فالشجرة تقي التربة من صدمات قطرات المطر والبرد فيكثر في الشتاء الثلج على قمم الجبال وتحول جذوع الاشجار واغصانها دون سقوطها وتطيل مدتها وتذوب ببطء وتغسل القشرة الرقيقة تحت سطح الارض وتمد الينابيع وتعطي مزروعات الاودية الرطوبة اللازمة لها . وان جذوع الاشجار في العقاب والتلعات تمسك التربة عن الانهيال وتقبض الصخور المفككة وتحول دون انهيار التراب

وكم من اشجار هي مأوى الماشية منذ قرون وحامية حياة الانسان كما هي حامية الهوام والحيوان وكثيراً ما تنبت الرياحين والورد في اطرافها كما ان الاشجار تمسك الحيات وتمتص رطوبة المستنقعات وتطهر هواء الاقليم بفضل حفيفها المنبعث من اكتظاظ الصخور الصحراء . ولقد صدق من قال من عشاق الاشجار « تأتينا الشجرة بالماء ومن الماء يصير مرج والمرج يغذي الماشية ومن الماشية ينشأ السماد ومن السماد الغلة »

لاجرم ان كل من جال جولة في اوربا واميركا يعرف مقدار حرص الفرنجة على

الانتفاع بالغابات . فقد قامت الجرائد والجمعيات في فرنسا منذ مدة تدعو الى تشجير الاراضي الوعرة او الغير الصالحة للزراعة والى تخضير الاراضي المنحدرة انحداراً قليلاً وقالت علينا ان ننادي الناس الى انقاذ ارض الوطن والمحافظة على ارث ثروتنا وبدائعنا الطبيعية ولا بد من تربية فكر الطفل منذ صغره على تقدير حسنات الغابات فيدرك انها تحسن الجو وتطرد مجاري الانهار وتخصب الترب وتكثر غذاء الماشية والسائمة والجبال اجمل منظراً والسهول اكثر ابتساماً . واتت الجمعيات وغيرها تنشر منشورات في فوائد التشجير وتوزعها على الفلاحين واشتغل مجلس النواب ومجلس الشيوخ بذلك مدة طويلة

وقامت انكلترا (١) تريد تشجير كل ما يمكنها تشجيره من ارضها ولا سيما في السواحل البحرية التي تسطو عليها مياه البحر تريد بذلك ان تجد عملاً للعاطلين وقدرت اللجنة التي عهد اليها النظر في سطح الارض التي تعطي اذا شجرت اكثر مما تعطي الآن من الدخل فكانت ٣٦٠٠٠٠٠ هكتار (٢) من ثمانية ملايين بدون ان يمس السطح المغروس من الجزائر البريطانية وايرلاندا وتبين لهم ان غابات انكلترا اقل من غيرها من غابات البلاد الاوربية وان الحكومة لا تموت بتاتاً ولذلك يتيسر لها ان تكمل ما بدأت به من الاعمال الى الغاية المطلوبة على خلاف الافراد فان الفرد يصعب عليه ان يصرف شيئاً ربما لا يأتيه في حياته فمن ثم كانت الحكومة اقدر على تشجير الغابات واستثمارها بعد سنين طويلة خصوصاً وان بيع الاخشاب والاحطاب لا يصعب على حكومة وقد رأوا ان ما تصرفه الحكومة من المال وتنتظر الحصول عليه يأتيها من الواردات بفائدته مضاعفة وانه ليس من العدل ان يصرف ابناء هذا الجيل ما يقتطف ثمرته ابناء الجيل القادم اي بعد ثمانين سنة وهي المدة التي لا يتأتى الانتفاع بالغابات في اقل منها فاذا شجرت الحكومة كل سنة ثلاثين الف هكتار تدفع في السنة الاولى ٢٥٤٠٠٠ فرنك وتكثر النفقة سنة عن سنة حتى السنة الاربعين فيكون قد بلغ ما صرفته ٣٩ مليون فرنك وتعادل النفقات الدخل بعد هذه السنة الى السنة السبعين وبعدها يزيد الدخل على الخرج فيبلغ الدخل الصافي نحو اربعة في المئة فيكون اذ ذاك ٣١٨ مليون فرنك وتساوي املاك الحكومة من الغابات ثمانية مليارات فرنك اي انها تبلغ مليارا ونصفاً زيادة عما كانت . وكل هذه النفقات والمداخيل محسوبة باسعارها الحاضرة ولم ينظر فيها الى غلاء اجور

---

(١) مجلة الافكار الحديثة الفرنسوية (٢) الهكتار مئة آر او عشرة آلاف متر مربع

العمية وانقطاع امطار الماصيل ورأوا ان ما يعرض للغابات من التخريب الناشئ عن الحريق والحشرات والثلج والعواصف وغير ذلك يعادل [illegible] الحكومة من ارتفاع الاسعار لان ما ينفق من الغابات يزيد على ما يزرع منها الآن في البلاد المتمدنة . وهذا التشجير يشغل تسعين الف رجل طول السنة عدا من يستخدمهم من ارباب الحقول موقتاً

ثم ان تأثير الغابات في المناخ والامطار وتحسين الارض وتلطيف [illegible] وفوائدها الاقتصادية والوطنية لا ينكرها الا اعمى البصر والبصيرة . ومما ذكره من منافع الغابات للوطن ان غابة [illegible] وفي غابة [illegible] بين نهري الرين و[illegible] قد صدت كتائب الوطنيين عن التقدم . وهكذا على الكثير [illegible] مسألة الغابات وهي موطن الاستقلال الشخصي واحترام الاملاك الخاصة . ونسيم الادارة المركزية عنها بان الاكثار في هذه المشاكل لا تضر [illegible] الحكومة ولا عجب ان الحكومة التي تحرس الغرسة اليوم وتنتظر حتى تراها بعد قرن [illegible] في البلاد القاصية فما بالك بها في عقر دارها

* * *

[illegible] ما يجب الاعتناء به من صيانة الغابات والتشجير . يدل [illegible] الاوراق بها [illegible] اعرف الخلق بالانتفاع من هذا الوجود . وان من يطوف العالم والمتأمل من بلاد سورية يستنتج ان حاجة [illegible] الغابات [illegible] الغرب بها اليوم وان كانت البقية الباقية منها لا تستحق ولا تفي [illegible] . واذا كانت الحكومة في القرون الاخيرة لا تهتم الا بكثير الجباية والعشور وباستنزاف دماء الفلاحين وكان الامن اذا ارتفعت اعلامه في بعض الاقاليم فقلما يرتفع بالقرب من الحواضر والقصبات وطالما كانت الغابات في الغالب [illegible] اللصوص ومطرحاً لاعمال القطاع ومدارس [illegible] في [illegible] الا [illegible] وكأنهما لم تكن [illegible] الحكومة لان العمال يساعدون على قطعها وكان الواجب عليهم ان يساعدوا على تكثيرها .

وكم من [illegible] الى سورية ليجد اثر الشجرة فيه [illegible] القرن[1] الماضية تمشي به [illegible] ولا تشاهد [illegible] الزرع ولا الشجر حتى قال احد الاجانب ممن زاره [illegible]

---

[1] المقتبس م ٤ ص ٣٦٧

كنت اتمنى في حياتي ان اشاهد جبلاً اجرد من الكلأ والشجر فما قد قرّت عيني في لبنان بمشاهدة ما كنت اريده من الجبال الجرد .

واكثر جبال سورية غابات فيما احسب جبل لبنان[١] ففيه من الاشجار الغير المثمرة الزان والسنديان والسرو والارز . والأرز المشهور بقرية بشري قديمة والغالب هو الذي كان يحمل من خشبه ايام الفراعنة الى مصر لبناء السفن والمعابد وغيرها ويؤتى به الى جبيل ثم الى طرابلس ومنهما يحمل في سفن شراعية . ومن غابات دير القمر والباروك وعين زحلتا كانت تحمل الى صيدا ومنها الى [illegible] في المراكب . قالوا ان الحكومة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لنفسها وهي السرو والمرعز والارز والصنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابه . وقلت الغابات في لبنان منذ نحو خمسة قرون لاحتياج السكان الى الاحتطاب واخذ القوم يقطعون الغابات ويغرسون بدلاً منها اشجار التوت والكرم . وشجر الارز انفرد به جبل لبنان من دون سائر جبال سورية ولا وجود له الا في اعالي [illegible] الضنية في وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز وبعض [illegible] السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسمى تنوب .

ويكثر شجر الشوح في جرود الهرمل وعكار وهي في الغالب من الاملاك الاميرية ينتفع بها الاهلون مجاناً او يدفعون ثمناً قليلاً للاحتطاب منها كما هو الحال في جبال العلويين . وفي جرود الهرمل وعكار صنوبر وسنديان وانك لتمر في جوانب طويلة عريضة لا ترى الا السنديان وكذلك جرود الضنية وعكار من اعمال طرابلس كلها حراج تقصبها الحكومة

وفي مسيرة يوم من شرقي حماة غابات من شجر البطم ومن الفستق البري بعينه تسمى البوصرية والبلعاس وكان [illegible] العربان يقطعون منها ويرعون فيها مواشيهم وقد أضيفت الى الاراضي المدورة اي الاراضي السنية فازدادت الاعمار في خلاف بعض الاراضي التي ضمت الى الاراضي المدورة في العهد الحميدي فكان من حظها انها عمرت وارتفع فيها علم الامن

واخبرنا احد اصحابنا ان في قرية حرش من جبال النصيرية وسكانها تركمان غابة لا يرعيها اهل تلك القرية منذ زهاء عشرين سنة [illegible] وحسن طالعه [illegible]

---

(١) المقتبس م ١ ص ٢٩٤

ثلاث سنين من غرسها مما دل على ان جبال النصيرية كانت اولاً مغشاة بالغابات التي لم يبق منها اليوم الا اثر ضئيل ورسم محيل . ولو توفرت عناية الاهلين في الجرود والجبال لغرسوا من الغابات ما يكون منه لابنائهم واحفادهم خير ثروة يخلفونها كما فعل اهالي الزبداني فغرسوا شجر البلوط في مكان يدعى قلعة السنديان في الجهة الغربية من الزبداني واذا امتدت هذه الغابات في سلسلة ذاك الجبل حتى تصل الى نبع بردى تأتي منها فوائد كثيرة لوادي الزبداني ووادي بردى ثم لدمشق وغوطتها اذ تكثر بذلك الامطار وتخزن المياه لنبع بردى المجاور لتلك الجبال ومن ورائها وادي القرن والحرير وفيها بعض الاشجار القليلة وهي ملك اصحابها لا الحكومة

وفي الجبل الشرقي اي في بلاد حاصبيا وراشيا غابات قليلة كما انه تقل الغابات في جبال فلسطين وفي بلاد الصلت غابات غير قليلة ما برحت الى الانقراض ومنها غابة قرب القصبة اقتلعها الاهلون وغرسوا مكانها كروماً يأتيهم بالعنب الجيد بلا بزر كعنب ازمير الا انه بقي اثرها دلالة على عظمة تلك الغابة العظيمة . وتقل الغابات في بلاد حوران واحسنها ما كان في جبل الدروز ولذلك كثرت مياهه اكثر من غيره من الاقاليم ومثل ذلك يقال عن غابة عجلون التي تبلغ مساحة المستعمل منها خمس ساعات طولا وثلاث ساعات عرضاً ولا يأتي عليها عشر سنين الا وتنقرض عن آخرها

وبعد كتابة ما تقدم رأينا ان نأتي على ذكر الغابات من المصادر الرسمية فعلمنا ان غابات ولاية سورية كثيرة واهمها (١) في قضاء بعلبك وتبلغ مساحتها عشرين الف جريب . والجريب يقرب من عشرة دونمات . وشجره من السنديان والعرعر ويقل فيه الصنوبر واشجاره غير صالحة للاخشاب وهي معرضة للاحتطاب منها على الدوام فلم تتيسر لادارة الغابات حراسته كما تقضي به المادة الخامسة من نظام الحراج لقلة الموظفين وصارت الى حالة مؤلمة وبعض هذه الغابات تدعي الاهالي ملكيته وادارة الغابات تدافعهم في دعواهم . واهم هذه الغابات غابة حلبتا ووادي نيرة وما عداها فتسلسل منهما وليس في قضاء البقاع غابات مهمة بل ان الاهلين يحتطبون من غابات الهرمل التابعة لمتصرفية جبل لبنان وهناك بعض غابات في سفوح لبنان بعضها مشترك بين البقاعيين واللبنانيين .

وحراج وادي العجم متفرقة وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة آلاف هكتار وحراج

---

(١) نشكر حسن حسني بك مفتش زراعة سورية لاعطائه ايانا هذه الايضاحات

اقضية حاصبيا وراشيا والقنيطرة مثل حراج بعلبك تسمى باسماء القرى المجاورة لها ويقدر مساحتها بثلاثة آلاف جريب تكاد لاتكفي لاحتطاب السكان الا على صورة مشينة . وليس في قضاء الزبداني حرج جدير بالذكر سوى حرج صغير أُصيب بما أُصيبت به سائر الحراج ولاسيما في وادي القرن ووادي الطير فاصبح اكثره غير صالح للاحتطاب . وليس في قضاءي دوما والنبك ما يصح ان يدعى غابات سوى بعض اشجار من السنديان والبطم متفرقة في الاودية والقمم من جبال قلمون هي ملك الاهالي يحتطبون منها فتقل سنة عن سنة

هذا في الاقضية الستة التي هي من عمل الولاية او لوائها وفي لواء حوران اهم غابات في ولاية سورية وهي من عمل قضاء عجلون طولها ٢٦ ساعة وعرضها ٢٣ ساعة وفيها ٢٣ قرية و١٣٧٥ ايكاً مزروعتان ومساحته من ٣٠ الى ٤٠ الف جريب ونصفها اليوم غير صالح للقطع يحتاج لحراسة كل الاحتياج والنصف الآخر يصلح للاحتطاب منه وعمل الفحم الا انه بعيد في نجاد وعرة وقلة الهمة الذين يتوفرون على اعمال الفحم منه اصبح كأنه لم يمس . ومدينتنا دمشق يأتيها الفحم اللازم لدفئها ووقودها من غابات عجلون واذا لم تبذل العناية بوقاية الغابات مما يلحقها من الضرر توشك ان تحرم بعد سنتين من الفحم فيباع قنطاره الذي يباع الآن بمئة وخمسين في الشتاء بثلاثة اضعاف ثمنه . قبل . ادارة الحكومة لزمت قطعة من هذه الغابات لايقل المستخرج منها عن خمسين الف قنطار بعث بالوسائط على انه ليس فيها سوى ستة آلاف قنطار . واشجار هذه الغابة لاتصلح للخشب والدفء وان كان الفلاحون هناك يعتمدون عليه في سقوف بيوتهم فمنها الصنوبر والسنديان والقطلب . وفي غابات عجلون نوع من شجر الزيتون البري . هذا في غرب اقليم حوران وفي شرقه اي في جبل الدروز غابات قليلة الاهالي ينتفعون بها في وقودهم

وفي لواء الكرك بعض الغابات واهمها ما كان في السلط ومساحتها نحو ستة آلاف جريب تحتاج للترك الآن والمحافظة عليها لكثرة ما عمت فيها فأس الحطاب والفحام وفي قضاء الطفيلة غابات ولبعدها عن العمران لايرغب في الاحتطاب منها فلا يستفيد منها القرويون ولا البعيدون وجنسها من العرعر وفي بني حميدة من اعمال قضاء الكرك غابات جيدة هي ملك بني حميدة

اليك ما في لواءي حوران والكرك على الجملة اما لواء حماة فليس في مركزه ولا في

حمص حراج والاهالي يجلبون احطابهم وفحومهم من حراج الهرمل في لبنان ومن غابات بعلبك ومن حراج الجماس التي كانت من املاك السلطان السابق فاصبحت للامة . وفي قضاء العمرانية حراج متفرقة تسمى باسماء القرى المجاورة لها وكذلك الحال في غابات سلمية

وقد بلغت واردات الغابات الاميرية سنة ١٣٢٢ شرقية ٤٨٤٢٤٨١ غرشاً صحيحاً ومنة ١٣٢٣ — ٧٠٠١٨٩ وسنة ١٣٢٤ — ٦٥٠٤٦٠ وسنة ١٣٢٥ — ٦٦٦٩٨٩ وبلغت سنة ١٣٢٦ الى آخر شهر تشرين الثاني ٦٤٨٠٨٨١ غرشاً .

هذا في ولاية سورية اما ولاية بيروت فالحراج موفورة في اكثر الويتها واقضيتها على ضيق مساحتها ففيها بعض الغابات الصغيرة واكثرها الفائدة في الانتفاع [1] والاحتطاب ما كان منها داخل لواءي اللاذقية وطرابلس الشام ففي الجهة الجنوبية من مدينة بيروت في الرمل غابة من الصنوبر تقدر بالفي دونم وطول اشجارها نحو خمسة او ستة امتار ومحيطها من ٤٠ الى ٥٠ سنتيماً ويعتنى كل العناية بحفظها وقد ذكر التاريخ ان هذه الغابة غرست قبل سنة ٧٦٧ هـ وقد خيف من انهيال الرمل على الاراضي الزراعية . وفي قضاءي صيدا ومرجعيون عدة غابات مبعثرة ينتفع بها السكان فقط

وعلى ثماني ساعات من صور غابات في وادي النصارى وساحل عالما ووادي الخنازير وهي واسعة في الجملة وشجرها من السنديان ومحيط اكبرها متر واحد وطولها خمسة امتار لاتكفي للبناء بل تنفع في الحطب والفحم وقد جرى اهلها في اقتطاعها على الاصول فلم تقل انواعها وكذلك تجد في الجهة الجنوبية من القضاء غابات في وادي كركر ووادي الليمون ووادي النهر .

وفي لواء عكا عدة غابات منها واحدة في الجهة الشمالية من ناحية شفا عمرو وهي على نحو خمس ساعات من الموالي المجاورة . وهي معروفة باسم الغربي ومرج وعاد والهوفي والزيب وتقدر مساحتها بنحو اربعين الف دونم وجميع اشجارها من السنديان ومعدل طولها من ٤ الى ٦ امتار ومعدل محيطها من خمسين سنتيمتراً الى متر واذ كانت هذه الاشجار لاتكفي للصناعات والبناء جعلها اهلها للاحتطاب واخذوا يبعثون ببعضها الى الخارج . وفي قضاء حيفا على اربعمائة و خمسمائة متر عن سطح البحر غابات في جبل الكرمل ووادي العسل والعصامة والمغاري والباخور تبلغ مساحة ارضها نحو ٤٢ الف

---

(١) تقويم (سالنامة) ولاية بيروت سنة ١٣٢٦ هـ .

دونم وهي قصيرة الطول والجسامة وهي كغابات صيدا وصور لا تنفع لغير الاحتطاب .

واهم الغابات الموجودة في لواء طرابلس في عكار والضنية تقدر مساحتها بمائة وخمسين الف دونم تمتد من شرقي غابات وعفت الى آخر حدود ناحية الضنية وهي منبثة في سطوح مائلة ويبلغ معدل ارتفاعها ٣ آلاف متر واهمها القبيات وعفت وارمونة وعرص والحويش [illegible] بين وادي جهنم وقاطر وترب والضنية وهذه الاشجار تنمو في سفوح الجبل والساحل وهي لا تطول فتنتج خشب البناء وهي من نوع السنديان والصنوبر وشربين الراعي والعرعر وعدا هذا تجد اشجار الصنوبر والشوح ممتدة على خط مستقيم بين مسيل المياه والوادي تعلو من خمسة الى عشرة امتار ومحيطها من متر الى مترين وتصلح وتقطع لتستعمل في جميع انواع الصناعات وفي كل هكتار اي في حساب عشرة امتار مكعبة تجد اشجاراً صالحة للبناء تعادل ١٣٦ الف متر مكعب كما يوجد في كل هكتار من الارض ما يعادل عشرين متراً مكعباً وهي تعادل ١٦٦٠ الف متر مكعب من سائر الاشجار والخشب الذي يقطع من هذه الغابات يحمل الى حماة وحمص وطرابلس واعمالها من القرى والعساكر .

والغابات الموجودة في لواء اللاذقية هي في الفتية جبلة والمرقب وصهيون والعجيق والباير والبوجاق وهي من الساحل الى مسافة الى احدى عشرة ساعة واهمها في باير وبوجاق ويوغدملي وجبل حسن اوشه وجبل الملك وقزل طاغ وحوض تلسم وبتالي ودربوي تبلغ مساحتها ٧٠ الف دونم والاشجار القريبة من الساحل يبلغ محيطها من ثلاثين سنتيمتراً الى متر وطولها من ثلاثة امتار الى اربعة ومنها يستخرج خشب البناء والصنع الدوارب الصغيرة والصنوبر الاحمر والابيض يستخدم في بعض الحال في الابنية واهم ما يستخدم من الغابات غابات ناحيتي باير وبوجاق تقرب مساحتها من ٣٢ كيلومتراً مربعاً والقسم الاعظم من اشجارها اي ٩٠ في المئة صنوبر يختلف محيطه بين ٣٠ الى ٦٠ سنتمتراً وطولها اربعة الى خمسة امتار ولقرب الادوات المطبخية وفي الاطراف والبلاد المجاورة تجد بعض الغابات يمكن تقديرها بثلاثة آلاف شجرة صنوبر اسود اكثرها يحتطب منه اهل القرى ويحمل بعضه الى بيروت وفي وسط هذه الغابات في جهة اسكندرونة غابة اسمها عزة تحيط بها اشجار الصنوبر وتقدر مساحتها بالف هكتار من السنديان

وقد بلغت مداخيل غابات ولاية بيروت ١٥٠٦٠٠ قرش بيع منها ١٠٩٦٠،٠٠٠

اوقة من الفحم و ٩٠٠٠ اوقة من الخشب واكثر مايبع منها في بيروت وجوارها وسواحل مصر ·

هذا ما اقتطفناه من مصادر متنوعة ونختم هذا الفصل بتعريب ما كتبه شاكر بك مفتش غابات ولاية سورية السابق وقد سألناه ان يفيدنا شيئاً في حالة تنامي غاباتنا فكتب الينا بالتركية بما يأتي وهو يصدق على غابات سورية باجمعها اي ولايات حلب وبيروت وسورية والوية القدس ولبنان والزور قال : الغابات احدى منابع الثروة الطبيعية للدولة والامة وربما كانت الاولى في بابها وما من ينكر استغناء احد عما تأتي به من الحطب والفحم والخشب وغيره ولاسيما في ولاية سورية حيث تكثر حاجات الاهالي الى الغابات اكثر من غيرها ومع هذا فلا نرى من يلتفت الى هذا الشأن ويبحث في اسباب دفع هذه الحاجة مما يوجب الاسف الشديد ·

ليس من ينكر ان الغابات تنقي الهواء وتجلب الامطار وتمنع التربة الواقعة في الحقول المسطحة من الانهيار وفيها من المنافع العامة ما ينفع في مرعية الاغنام والمواشي وغيرها وكلنا نسلم باننا نطبخ كل حين طعامنا ونغسل ثيابنا وندفئ غرفنا بالفحم والحطب

ولئن رأينا اليوم مواقد تحمى بالبترول ويستفاد منها بعض الشيء الا ان هذا الطباخ لايقوم في وقت من الاوقات بدل المنقل وكوانين المطبخ على الطرز القديم وذلك لان الطعام اذا طبخ والغسيل متى غسل تطفأ تلك المواقد واذا فرضنا انا اوقدناه مدة طويلة فمن البديهي انه لاينشر حرارة تشبه حرارة المنقل ولا الكانون بحال من الاحوال · ثم ان من وسائط التدفئة والتسخين ان نرى بعض المواقد التي يستعمل فيها زيت البترول وهذه لاتزيد الحرارة الطبيعية في الغرفة الى اكثر من درجة الى درجتين في الاكثر ·

اما اخشاب البناء فانه يؤتى بها الى هنا من غابات الطونه وقونيه وآيدين فتباع بثلاث ليرات واحياناً باكثر من ذلك في حين انه من الممكن زرع شجر الصنوبر والسنديان في هذه الديار من اجود الاجناس وكل من يشتغل بالزراعة يوافق على هذا الرأي

ومع ان قنطار حطب الزيتون والمشمش يباع من خمسة واربعين الى خمسين قرشاً فقد كانت ترتفع اسعار قنطاره الى نحو ليرة ونصف لو كان المعول في احماء الحمامات والافران عليه

وهنا لا ارى حاجة لبيان فوائد الغابات بل اقول على سبيل المثال ان ما حرق من الفحم من جزء صغير من غابات عجلون قد بلغ سنة ١٣٢٤ (شرقية) ٣٢٠٠٠٠ و ٤٠

يكون أخذه سنوياً رسم ٥١١٤١٢٠٤ غروش صحيحة او ٦٧٢٣٢١ غرشاً بعملة دمشق الرائجة المتداولة

ولو عني الفلاحون وغيرهم ممن يملك من ثلاثين الى اربعين دونماً من الارض وهو يتركها معظم السنين في استثمارها كلها بحجة ان ليس لديه بقر او سكة او بذار ويترك قسماً منها بوراً لو عني بزرع شطر من ارضه او كل حدودها ومجاري المياه فيها اشجاراً وحراجاً لاظلته ومواشيه وابناء السبيل بظلها واستخرج من اغصانها ومن اليابس منها حطباً لمدفئته ولو اكثر منها زيادة لاستطاع ان يخرج له خشباً وفحماً ويبني بها بعض الشيء . وبالجملة فان كل امرىء اذا ربى غابة فكأنه اسس لنفسه مصرفاً (بنكاً) دائماً لان الغابات رأس مال لا ينفد في الحقيقة .

بيد ان اهل القرى لا يفكرون في هذا الامر ولا يلتفتون الى ما يصح قربه من قطع الاشجار بل يقطعونها من اصولها وهناك الضرر الذي لا ينكره العقلاء

ولقد جرت المداولة بشأن الحراج والغابات في المجلس العمومي هذه السنة والتي قبلها وتعهدت الحكومة ان تأتي الفلاحين ببذور الغابات لمساعدتهم ولكن لم يراجعها احد في هذا الشأن والحكومة متكفلة بالقيام بكل انواع المعونات . ورجائي ان يعمد الاهلون بدلاً من تخريب الغابات واستئصالها الى احيائها وتجديدها وبذلك يحفظون منافعهم ويحافظون على حقوق الخزينة والله الموفق

* * *

النفس الانكليزية

لا تبرح امة من لمحة ما بهذه الامة الانكليزية فيه وكأنه خلق مستحكم فيهم مع الزمن وتوالي الاخلاف عن الاسلاف وتسلسل فيهم حتى اتى بالعجائب ومن درس تاريخ هذه الامة يراها تصبر وتصابر لاول وهلة ولا تطيش احلامها فاذا رأت الفرصة وثبت وثوق تقتسم ما الحال حاله .

تثبت هذه المقدمة من مسألة تجلى فيها دهاء الانكليز في التاريخ وهو ان الحروب الصليبية التي دامت في سورية نحو قرنين واهرقت فيها الدماء سيولاً لم تقف وتنزع دول النصرانية عن حرب دولة الاسلام الا بتدخل ريشاردس قلب الاسد صاحب انكلترا اذ ذاك في الامر فعرض سراً ان يزوج اخته من ابي بكر بن ايوب شقيق الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ولولا رأي القسوس لما تأخر صاحب انكلترا عن اجراء هذا العقد فانظر الى دهاء هذا الرجل وهو في القرون الوسطى وفي صدد حرب دينية كيف يتسامح بزواج اخته من غير ابن ملته عرضاً لمصلحته . قال ابو الفداء في حوادث سنة سبع وثمانين وخمسمائة تراسل الفرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكلتر ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القسيسون وانكروا عليها ذلك الا ان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال .

هذا هو الباب الاول الذي طرقه ملك الانكليز فلم يفلح لتعصب قومه وكان قد رأى ان ملك الالمان جاء عن طريق الاستانة براً الى فلسطين في مئة الف من رجاله فهلك معظمهم في بلاد الارمن ولم يصل منهم الى ساحل الشام المحروسة سوى الف نسمة حتى ان ملكهم هلك غرقاً في نهر في الاناضول كان يغتسل فيه ليستحم فايقن ريشاردس ان امر هذه الحرب يطول وان الحمية التي دعا اليها بطرس الراهب لاستخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين لا تجدي هذا القدر من الفائدة فطرق باباً ثانياً هذه المرة بعد ان شاهد فشل الصليبيين قد اضطرب وطلب الصلح بعد ان يئست الرجال في عدده وعمل بمخابرة صلاح الدين في معنى الصلح فبعث في احدى تلك المخابرات يقول لصلاح الدين لا يجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ولا يجوز لي ان اهلك الفرنج كلهم . قال القاضي ابن شداد بعد ان ذكر ما عرضه عليهم من شروط الصلح المجحفة : فانظر الى هذه الصناعة في استخلاص الغرض باللين تارة وبالخشونة اخرى وكان مضطراً

الى الوطن وبعد مقامهم اشهراً . والله المسؤول في ان يكفي المسلمين مكره فما لقوا بمثله حيلة ولا اشد اقداماً منه لعنه . ولقد كان ملك انكلترا صادق جماعة من مماليك صلاح الدين ودخل معهم دخولاً عظيماً بحيث كانوا يجتمعون به في اوقات متعددة وكل في كل هذا يطلب الصلح حتى يتوصل الى ما يريده الا وهو استرجاع بيت المقدس الذي افتتحه صلاح الدين منهم

ثم شرع في المهادنة الى ان تعب اهل عسكره من القتال وان المسلمين قد ضاقوا ذرعاً بطول مقامهم وتحرجهم على تلك البلاد فمال صاحب انكلترا الى عقد الصلح سنة ٥٨٨ ه وسبب ذلك كما قال ابو الفدا ان ملك الانكليز مرض وطال عليه البيكار (؟) فكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجب السلطان الى ذلك ثم اتفق رأي الامراء على ذلك لطول البيكار وضجر العسكر وقد نفدت نفقاتهم فاجاب السلطان الى ذلك واستقر امر الهدنة ثم جاءت رسل الانكليز واخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهري ابن اخته وخليفته في الساحل وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج ووصل ابن الهنفري وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل اخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد بن تقي الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الامجد بهرام شاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين يلدرم الياروقي صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر والامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار

هذه هي المسألة الاولى التي تجلى فيها الدهاء الانكليزي في اجلى مظاهره . والمسألة الثانية وهي احدث من الاولى عهداً ولكن يتخللها شيء من التأمل كلياً سلسلة دهائه هي مسألة الاستعمار كانت الانكليز لم تلتفت اليه مطلقاً حتى جديد قارة ١٤٩٢ اكتشف كرستوف كولمبس امريكا ولقد تقدمت البرتغال غيرها من الدول لاستعمار الأرض وتلتها اسبانيا ثم هولاندة وقد بلغت هذه الدولات الثلاث اوج مجدهن الاستعماري في النصف الاول من القرن السادس عشر الا كانت انكلترا لم تأخذ بعد كل نصيب الاستعمار ثم جاءت انكلترا ولكن هذه الدولة [illegible]

الاربع الاول وانشئت لها دولة بحرية عظمى بعد صلح اوترخت سنة ١٧١٣ (١) وتطمع الى الاستيلاء على البحار ولكن هذا الدهاء في تأخر الانكليز عن دخول ميدان الاستعمار قد هيأ لانكلترا الاستئثار بالاتجار مع اميركا . وانكلترا اقرب الدول الى العالم الجديد وشطوطها وهي تمتد على مسافة ٧٩٠٠ كيلومتر اي ضعفي شطوط فرنسا واكثر الدول الغربية الاربع قرباً الى شطوط بحر الظلمات من سيفه الآخر فقبل سنة ١٦٠٠ ميلادية لم يكن لانكلترا مستعمرات خارج اوربا وبالدهاء السياسي افتتحت انكلترا الجديدة وفيرجينيا واخذ شارلس الثاني سنة ١٦٦١ مملكة الهند وكانت سبب غنى انكلترا وعظمتها مذ اخذها اناس من تجار الانكليز دخلوا مع الجنود دخول السل في جسم العليل وكان من امرهم ما كان .

وهكذا لو تصفحنا التاريخ لشاهدنا امثلة كثيرة في الدهاء الانكليزي الذي لا يشبهه دهاء في الامم وتبين لنا ان الثبات والصبر والتأني والسكون الذي خص به هذا العنصر هو الذي كان سبب نجاحه في اعماله فاشتهرت جنودها على قلتها وندرتها وسياسته اشتهرت بحذقها على جفائها والتاريخ اعظم ترجمان من الامراء والامم ومنه نكتشف حقائق البشر وخصائص الشعوب

ولهذا الدهاء والتأني والصبر اسباب طبيعية وصنعية في انكلترا بحث فيها علماء الاجتماع والنفس كما قاله اميل بوتمي من كبار علماء فرنسا (٢) ان القوى الطبيعية هي من جملة الاسباب التي تؤثر في تربية الشعب . وهذه القوى هي صورة الارض الظاهرة وجبالها وانهارها وبرها وبحرها وقسوة مناخها او لطافته ووفرة ثمارها الارضية او ندرتها . فان تأثيرها قديم كالانسان ولا سبيل لنا الى ان نجد في التاريخ دوراً لم تؤثر هذه الحالات في البشر واذا كان عرض للانسان قليل وابدال لذلك بالشيء من مجموع اسباب وهذه الاسباب هي التي سماها تين العالم الفرنسوي «المحيط» كالوراثة والعادات والقوانين المزبورة على

---

(١) اوترخت مدينة في هولاندة وولاية تسمى باسمها وسكان المدينة نحو مئة وعشرة آلاف وفيها مدرسة جامعة كلية ومعامل للمخمل (القطيفة) مشهورة منذ القديم وفيها عقدت انكلترا وفرنسا واسبانيا وهولاندة الصلح سنة ١٧١٣ انتهت بها حرب ارث التاج الاسباني

(٢) كتاب علم الروح الانكليزية في السياسة خلال القرن التاسع عشر لاميل بوتمي
Emile Boutmy. Essai d'une psychologie politique du peuple anglais au XIX^{e} siècle

الحجر والمذاهب الدينية والاعمال التعصبية وغيرها كانت لاول الامر نتيجة المحيط الطبيعي فاصبحت مع الزمن ذات قوة تملك وحياة خاصة وصارت تولد بذاتها شعوراً وتتسرب الى الاسباب الطبيعية الطبعى ولكن هذه الاسباب الرئيسة ما برحت تمشي هذه الجمعية الشعوبية التي كانت في النشأة اليها وما اليوم تأثير كبير حتى انها تأتي في الاخلاق . الراسخة والمذاهب الارثية فتغيرها وتفعل فيها ما فعله في اهل الاجيال الاولى

انكلترا من بلاد الشمال وما بين بلاد الشمال من كبير امتازت به فليس لاقليمها ما يعادله بين الاقاليم لانها تتمتع بمناخ يكاد لا يختلف طوره فلا ترى في الشتاء تبدلا في الهواء من شمالي انكلترا الى جنوبيها في مسافة ثمانمائة كيلو متر فيستطيع سكان بريطانيا ان ينتقلوا من ناحية الى اخرى بدون ان تتأثر اجسامهم من هذا التنقل وتختلف انكلترا عن سائر بلاد الشمال بتدرج خطوطها وخصب تربتها في حين يضطر المرء في اواسط بلاد روسيا او في شمالي روسيا فيكتفي الروسي بحصر قواه من حاجاته وذلك يقلل به فكر الاقتصاد بين الاعمال اما الطبيعة في بلاد الانكليز فتنادي ساكنها قولها انك باعتدال ذلك اذا تراخيت وتكثر او جدت . فالهواء في بلاد الانكليز رطب ولكنه صحي وثقيل بحيث يكاد يصعب استنشاقه تعباً والجسم يهول به اذا لم يتغلب عليه بحركات كثيرة . وان انكلترا المشهورة بطول القامات وضخام الاجسام اشداء البنية وفيها من المعمرين الشيوخ اكثر من كل بلد من بلاد اوربا . والارض الانكليزية بما تترطب به من الضباب و بمطرها من هطول الامطار تحتاج على الدوام الى التجفيف بالقناطر حتى لا تفسد بطائح او برك وهي بفضل تمهدها خصبة مرعة . ومناخ انكلترا يحتاج الى الغذاء الكثير ولا سيما اللحوم وارضها مستعدة كل الاستعداد لتربية الماشية والمرعى ... من الاهمال يدخل في مغابن الى ارض بريطانيا العظمى فيصبح الصيد في طرف الثمام .

وبالنظر لرطوبة الهواء في الهواء واصفرار الشمس بما يغطيها من الضباب الذي يحجب اشعة الشمس عن الانزال القائمة ساعات طويلة من النهار يضطر معه ابن تلك البلاد ان يحسن لباسه ومسكنه وذاته ويبحث عن الاعمال التي تحتاج الى كدح وكد وهو في حاجة الى حوض للماء والى جدران غليظة لسكنه فتراه يصرف جزءاً مهماً من وقته في السعي بالتطهير واستخراج الفحم او تراب النفط الوقيد [illegible] خلافاً لابن جنوبي اوربا فانه لا يحتاج الى مثل تلك المدة ليعيش والانكليزي اذا لم يجد سبيلا لحاجاته

في ارضه يجلبها من الخارج بواسطة المقايضة مع ما تحتاجه اخشاء بلاده من العاملين والتاجر ويسهل عليه تناول ذلك بما له من وسائل النقل السريعة الرخيصة الاجور

ولما كانت الطبيعة الخارجية للامة الانكليزية مدرسة ابداع ونشاط وحذر وتدبر فنشأت هذه الفضائل من اسباب جلب المنافع ودرء الضرر وكانت من كليات الاخلاق في هذا الجنس ودعا الجهاد للحياة وهو هنا اصعب منه في كل امة الى ان يذهب منه بالانتخاب الطبيعي كل من لم يرزقوا هذه الصفات اللازمة كالمرضى والخاملين والجبناء والبطيئين فلم يبق من هذا العنصر غير الاقوياء اهل الجرأة النشيطين واصل ذوق العمل بنشاط دائم متواصل في النفوس حتى صار كأنه ارثي فيها

قالوا ان الشعب الانكليزي شعب اجتماعي وهذا يصدق على كثير من الشعوب ولكن العامل الاكبر اليوم في هذه الامة الشوق الى العمل والميل اليه حبًا به . وما الحياة السياسية في انكلترا الا ناشئة من الميل الى تمرين القوة والبطالة [illegible] ومن يجتاز البلاد الانكليزية يشعر بحاجة الامة الى هذا التمرين والى هذا الصرف من القوة بما يراه من الحركة على السيارات واشتغال الاولاد بالالعاب الشاقة فيوقن بان الرياضيات البدنية الشديدة ليست في انكلترا مدعاة للتسلية بل هي ضرورية للنفع حاجة طبيعية لا تقل في مسيس الحاجة اليها عن الجوع والعطش

وكل من زار لندرا يشهد الرجال من الانكليز يمشون في الشوارع عدوًا [illegible] في سبيل مقصدهم وحدًا [illegible] ان يذهب [illegible] دون ان ينظروا ذات اليمين وذات الشمال [illegible] فهم لا يبصرون نصب اعينهم غير الغاية المعينة التي هي هدفهم ومقصدهم حتى اذا وصل العامل الى مكتبه او معمله ينصرف اليه بهمته ولا يدخل اليه غيره ولا يلتفت الى ما يبعده او يعطل زمنه في غير ما هو بسبيله فتراه لا يقطع دقيقة مما هو مشغول به ولا ينثني الى مهمته ولذلك كانت اجرة العامل الانكليزي ارقى من اجور عمال الامم الاخرى لانه يأتي [illegible] العمل ويعمل نحو ضعف ما يعمله الايرلاندي او الالماني مثلاً . وهذا الروح الخاص يولد في جميع الفروع عملاً مدهشًا

والنساء الكثيرات من الانكليز لا يستكفين من العمل بعائلاتهن [illegible] فينصرفن الى تأسيس جمعيات الاحسان ويخدمن في المستشفيات ويعملن اعمالاً قد عدها بعض الامم المتمدنة من الاعمال الوضيعة ولكنها تكون خدمة الانسانية وقد دخل خمسون الف امرأة في الحزب الحر في انكلترا وشاركن الرجال ومنهن المطالبات بحقوق الانتخاب

والمؤمنون من الانكليز بالدين لا يؤمنون به ويتصرفون عن كل شيء بل يعملون باجتهاد ويجتهدون في الحياة لا يصدهم ما تعلموه [illegible] من العبادة عن النظر في دنياهم

ويعد مثل الذوق واشتراك العمل يجب ان ننظر اليهما كأنهما حالة جوهرية موصوفة لازمة اختيارية لهذا الجنس فيما يصيح في الانكليزي حيث يذهب كلاهما الاسباب المكتومة من بيانه ومما يقتضي اسبابه وان الدواعي التي ادعت ضرورة العمل في هذا الجنس قد حالت اليوم من شأنها لذلك لان كثرة الغنى العقلي والمادي قد زاد عدد الاشياء والمصطلح الى الشرح في جزء منه والامة الانكليزية الغزيرة الارثية التي بها يعترف الانسان بقانون العمل وبه لزمه [illegible] بالكمال والضمان في هذا الوسط الجديد اكثر بعثاً في رجائه فاذا [illegible] عن عرض حكومته الى طلب التقدم له [illegible] من الانكليز يشترون القليل من [illegible] له وكل هذا على الحالة لا تصر الصفات التي ورثها الانكليز والاحياء فيهم مدة قرون .

للاقليم في انكلترا تأثير مهم في الشعور والمدارك مثل البلاد التي يخف هواؤها ويكثر كهربائها التي تقوي الاعصاب وتقوي الانسجة ويكون الاحساس في اهلها اسرع . ومثل الجنس يكون التصور الطبيعي اي حاسة تأثر المحسوسات [illegible] في الانكليزي تأثر وبطء [illegible] الاعمال الفارسية تكون [illegible] الانكليزي منها في الايطالي مثلاً لان الاول قل يضطرب كالثاني . وقد شاهد خصوم الانكليز من عساكرهم في الحروب اصابة وثبات [illegible] لم يكونوا يتأثرون لاعظم الخطر والقنابل تتفجر والقتلى يكثر [illegible] مشرحة الارواح الصامتة

ان ارض انكلترا وما احصت به من الرطوبة والامطار الغزيرة والضباب المتواصل والطبيعة الساكنة قد اثرت في نفوس اهلها حتى لم يجدوا في الوجود ما يشغلهم ولذا شغلوا بحاسة الفهم وقل كلامهم كأن في شعورهم ما يأتيه من خارج والكلام كالشعور والفكر يأتي [illegible] برهافة وخصال العيش وهو الرمز من آثار الثروة العامة والرفاه . ولقد وصف الفيلسوف [illegible] الشعب البريطاني بقوله من السرور الذي يشغله السكوت وهو من اعظم ما الطبع اليه نفس كل انكليزي ان يجتهد في امر ويتحمل المشقة ولا يتساءل عما يرى . وقد اعرب شاعرهم تنيسون عن مثل هذا الفكر شعراً جاء معناه : انما اعظم على النفوس ان النفس دون غاية وتجعل لقواها حداً وان تصدأ كالسيف يلقى على

الحائط بدلاً من ان يلمع في يد حامله ويصقل بالاستعمال · ليس استنشاق الهواء هو الحياة بل انا اذا فقدنا كثيراً فقد بقي علينا كثير فما كنا عليه مابرحنا فيه : قلوب ابطال شأنها التساوي بانفسها اصبحت على الزمن ويد القدر نهب الضعف ولكنها مسلحة بارادة شديدة في مضائها وبحثها وايجادها وان لا تلين قناتها ابداً ·

تقل في العنصر الانكليزي على الجملة الكفاءة لتصور الافكار العامة ويكره النظريات المجردة كما يكره المذاهب المقررة فليس للانكليزي شيء من المجردات يشغله بل تراه على الدوام مأخوذاً بضرورة العمل اليس معنى هذا ان حاسة العموميات ضعيف تركيبها في انكلترا بل ان العقل عملي لا يقبل الا مايلزمه وبفطرته يعرف كيف يضبط نفسه ويحدد حدوده حتى اذا سار بنفسه سار صبراً تابعاً لا اسيراً نكراً عقله لا يشبه قائداً في جيش يفكر في وضع خطة الهجوم والقتال بل عقله يشبه ضابطاً يقود بعيداً عن ميدان الحرب قسماً من الجند الاحتياطي المساعد فلا ترى في هذا الضابط قابلية لان يكون في الطليعة ولكنه يجيد في اتخاذ مركزه في النقط التي تجاوزها الجيش المهاجم وينظم فيها المقاومة

لا شيء يقع على عقل الانكليزي من الغرابة اكثر من انكاره القوة الطبيعية Naturalisme والنظريات في الالهيات والمعقولات بل يرى ان اجنحة الفكر لم تبرح في نمو ولذلك لم تستعد للطيران مسافات طويلة بل هي تساعده فقط على السير فاذا ارتفع هنيهة وحلق في الجو فذلك ليعود الى الارض بعد مدة قليلة وهذا مادعاه يفكر في الامور القريبة التي اكثر ما تكون مساساً به مباشرة وله من شاغله في تحصيل ثروته وتحسين زراعته مايصده عن الحق ولا يفرغ ذهنه الى النظر الى الاشباح الفارغة فهي بعيدة من الارض جداً غريبة عن الحياة الدنيا غير ملتئمة مع شروطها وضرورياتها ولذا ترى الانكليزي في مسائل الدين لا يتعدى افق العالم المدقق باحوال الانفس والاخلاقي الذي يبحث في المرئيات وليس هو صوفياً او منكراً ولا موحداً وهو لا ينظر الى القواعد الموضوعة والالفاظ بل ينظر الى الغاية من التدين اكثر من الواسطة وهكذا هو في السياسة فلا تقوم حريته فقط على الدستور الذي يبيح الحرية على التقاليد الموروثة التي تحمي حمى الحرية القديمة المتأصلة فيه

من غريب حال الانكليز ان كثيرين من حملة العلم فيهم لم يتعلموا العلوم اللازمة للالمام بالتربية العامة فهم اختصاصيون لا تشوبهم شائبة وان من يحاول في انكلترا ان يحدث

احد علمائهم في العلم المجرد لا يجد من يستمع لكلامه فالعالم الطبيعي عندهم هو الذي يعرف كيف يصنع موتورا ميكانيكيا يطبق فيه العلم على العمل فتطلع على ملك لا ترى في كتبهم الا الكهربائية الا حوالا مرسومة تمثل وتعد ومواسير تقطر ماء وغيرها ينتفخ وآخر ينقبض وهكذا انكلترا في مباحثها الا يصدر منها الا ما يقع تحت حسها ولا تقص في قصصها الا ما ينال عاداتها الطبيعية وكذلك تاريخها ورواياتها التشخيصية وفلاسفتها فان فلسفة اوغست كونت الحية ومخترعها فرنسي وجدت لها اعوانا في انكلترا اكثر مما وجدت في فرنسا لانها صادفت هوى في افئدة القوم

فهذا هو الشعب الذي قدر له ان ينشر البروتستانتية بنشاطه ويخرج من الكنيسة الكاثوليكية التي كانت دين سلطة الدولة روحية تقيد وتحظر وتعاقب والناس معها مكرهون على الثبات على تعاليمها اما المذهب البروتستانتي فهو دين الحكومة الذاتية الوجداني فالاول موجد النظام والقاعدة والآخر محرك النشاط وموجده وهذا هو الدين الذي يناسب امة خلقت لتعمل.

ان تأخر من الوجوه في شأن الانكليز بعفة النساء الانكليزيات وتقديس الاسرة والبيوت كل ذلك من اخلاق الانكليزي الحديث كما كان قديما من خصائص اخلاق الجرمانيين سكان انكلترا الاصليين. وامتازت الامة الانكليزية من بين الامم بانها متجانسة لم تمتزج بغيرها فالانكليز وهم على ما نعرف ساكنو انكلترا هم جرمانيون من بلاد الشمال ومن اجداد الجرمانيين انكليز وجوت وسكسونيون وكلهم من عنصر الماني والذين جاؤوا بعد لاستيطان انكلترا مثل الدانيمركيين والنورمنديين هم فروع تشعبت من نفس تلك الدوحة

وان ما يروى من شدة بأس الانكليز وقوة عضلاتهم يذكرنا بما قاله امرسون فيلسوف اميركا قالت الطبيعة في زمن الرومانيين وعلا سهم من عمل المجد واني اريد ان أؤسس مملكة جديدة ساختار عنصرا شديد الشكيمة كلهم ذكور ولكنهم واجعلهم ذوي قوة وحشية ثم لا اعارض فيما ارى من المنافسة بين الذكور القساة المحاربين الا ليبدل الطاووس قوله في رأس الجاموس الآخر فيبقى الرأي الاكثر قوة فبالتالي تحمل ان يكون اقامه يحتاج الى ارادة وعضلات. وهؤلاء هم الانكليز الذين لا يمتزجون خارج بلادهم بغيرهم من الامم ولكنهم في ارض اكثر الامم حربية واكثرها كراسا واشدهم الدول القوية. ليست انكلترا جزيرة بل هي قارة من امة التشبث في الاكثر

ومنازع رأتيها من اوربا نفسها بري [illegible] كما [illegible] البلاد الاخرى ولكن كان انقياده موقتاً كأنه قشرة او هو سطحي لانه [illegible] من الازياء اما سواد الشعب فبقي اشيء في منازعه بل ظل محافظاً لاخلاقه الاولية وبخاصة لان كانت دواعي الاختلاط قليلة جداً بين الانكليز وغيرهم ولاسيما [illegible] الامة الانكليزية الشبه بساكني الولايات في اوربا وفكره كالشراب بقي زمناً في كأس من الاهتزاز خمر وكثف ولم تعد له تلك الميوعة التي تؤهله الى الاختلاط بشراب آخر

وكان لهذه الصبغة الخاصة وثبات في الاخلاق الانكليزية نتيجة مهمة شوهدت في كيفية الاستعمار البريطاني وان نجعه . فما قط تمازج العنصر الانكليزي بغيره من العناصر في البلاد التي اخضعها لسلطانه فهو كالمعدن البعيد جداً عن قابلية الذوبان فلا يتأتى ان يحصل منه ادنى مزيج وما قط سعوا [illegible] انفسهم [illegible] الشعوب التي افتتحوا بلادها وما طمعوا في استحالة قلوبهم فلم يحرموا الان [illegible] ويستنزفوا مادتهم ويدوسوهم او يفنوهم .

اما الانكليز فضلاً عن عدم كفاءة في فهم مناحي العناصر المغلوبة وان يتقربوا اليها ليأخذوا بايديها ويقوموا [illegible] وابانة ما يفقدها من ايلام من العاطلة السوأى ومثل ذلك يتجلى في ادارتهم الهند ومصر . فالانكليز يأتون تلك الشعوب بثروة مادية ونظام ومن وعني فترى سلطتهم في بلاد الهند مثلاً في احسن طريقة ونظام مدقق قوامه الحكمة والادب وهم فيها بعد قرن من الزمان يحرصوا من كونهم [illegible] لا يألفون ولا يؤلفون وكلما تقادم العهد عليهم ازدادوا [illegible] والاهالي [illegible] الخلاص من ربقتهم . ولا بد يوماً يغادرون فيه البلاد المستعبدة [illegible] اهلها ولم تذهب بذهابهم الرفاهية والسلام .

حكم الانكليزي مسلك القوى الماهر الفطن وهو استبدادي وكثيراً ما يكون ثقيلاً في البلاد التي يكون فيها الاختلاط قليلاً بينهم [illegible] واراداتهم لان هؤلاء الفاتحين لم [illegible] من قليل [illegible] على الضعفاء والضعاف بل لا يشفقون ولا يحنون [illegible] والمتساوين لهم .

ثم الانكليزي اكثر الامم اغراقاً في الابتعاد عن الناس والعزوف عن مجتمعهم فهو يشعر بانه اقل من غيره علاقة بالمجتمع البشري وقلما يقتبس من [illegible] مع غيره شيئاً يستفيده في تركيب اخلاقه والاتيان عما يفكرون فيه واذا بحث احدهم مجرد

لا يدخل الشطط في عوائده واخلاقه فهو يسلك بعيداً عن العالم وعن غيره من الامم بل هو بعيد عن جاره الذي يساكنه في حي واحد والجهة التي يعيش فيها ويباشر فيها نفسه فلا يكون [illegible] عما يراه في الخارج [illegible] تحت القشرة في نوع من [illegible] كثيرة [illegible] وما يجري عليها من مجرى الشمس لا يزيدها صفاراً ولا احمراراً

الانكليزي لا [illegible] من [illegible] وحده ولا يجد حاجة ان يفحص ما عمله في غيره ولا يسوءه [illegible] الى [illegible] في اعمال غيره فهو لا [illegible] الشؤون التي تمسه مباشرة لا يهتم الا بما له علاقة بالمسائل الوطنية العامة التي تمسه ولكن لا مباشرة بل من طريق وطنيته [illegible] الانكليزي الا [illegible] مع الاصحاب الخرس فهو لا [illegible] ولا [illegible] الى الصديق [illegible] انه يحب لا يجتمع بكل واحد من هؤلاء [illegible] حرية [illegible] ويقول [illegible] يصعب على الفرنسويين [illegible] في انكلترا وكيف يحب الانكليز [illegible] لا يحبون [illegible] كل يوم لا [illegible] . يجب ان يحترم كل منهم ولا يمتزج باحد ولا [illegible] ولا يلتفت الى احد .

ومن الغريب ان هذه الامة [illegible] عن الاختلاط تراها في امورها الداخلية من اكثر الامم ميلاً الى الاشتراك [illegible] ومجالسها وشركاتها المالية بخلاف غيرها [illegible] الفرنسوي سر نجاح الانكليز في الزراعة والتجارة والصناعة بقوله انهم [illegible] افكارهم ويشتغلون في التدبير [illegible] في شؤونهم ويحسبون دخلهم وخرجهم [illegible] اكثر مما يبحث الاجنبي عنها ومن هنا كان التدقيق [illegible] جميع الاعمال العامة والخاصة [illegible] الفيلسوف الانكليزي [illegible] شعب اخرس ثم شرح هذه العبارة بقوله ان السكوت يزيد في [illegible] مما [illegible] فالانكليزي يميل الى [illegible] ولا يعجبه الظهور [illegible] العمل من حيث هو عمل ولذلك ترى جرائد انكلترا لا يوقع كتابها [illegible] وهي مع هذا ارقى من جرائد فرنسا التي يوقع كتابها على [illegible] ومن آثار [illegible] من هؤلاء لا يلبث [illegible] اسمه [illegible]

ان كان من عادة الانكليزي [illegible] فان حب الخلوة [illegible]

المجهول ليس فيه الا على ضعف ايضاً فالانكليزي يبقى انكليزياً ويعيش عيشاً انكليزياً حيثما ينزل . والانكليزي اقل من الفرنساوي والايطالي في اليأس من النجاح واكثر منهما هزؤاً بالمتاعب والمخاطر ثقة بان لها حداً تقف عنده ولا بد من حل مشكلاتها وقلما تراه يحسب حساباً لنكد الطالع فترى الشاب يتزوج من فتاة وهو في مقتبل العمر ولا يطالبها بمائة (دوطة) بل يقترن بها بلا مهر ويقدم على تأسيس أسرة فيزيد نفقاته ثلاثة اضعاف ما كانت عليه والصانع يقدم على ادخال اصلاح في عمله بجرأة ويتخذ وسائط النجح وهو يعلم انه لا يلبث ان يتم اصلاح صنعته حتى يقوم صانع آخر ينافسه ولكنه يكون استفاد من الفترة بين اصلاحه واصلاح منافسه وترى المهاجر منهم لا سبد له ولا لبد ومع هذا يفرح ويمرح تحت اثقال المتاعب وهناك سبب آخر واعني به الهوى في العمل او التجنن فيه وحب الحركة والتذوق في العمل من اجل العمل وكل ذلك مما تقتضيه حالته الطبيعية . وانا ارى المرسلين منهم يتغربون في الارض ولا يخافون بل يتعزون بما يتم على ايديهم في الاقاصي وينامون ملء جفونهم شاكرين ويعملون اعمالاً في السر ابتغاء وجه الله

ومن خلق الانكليزي انه متشدد في الاحتفاظ بالحالة الحاضرة فارباب العقول الغريبة في تصورها كثيرون ولكنك لا ترى فيهم احداً يميل الى الثورة وقد اشتهرت انكلترا بانها بلد التقليد المتعصبة حتى على التبديل اللازم وثلاثة ارباع سكانها لا يشعرون بالحاجة الى ادخال تعديل في القوانين والاخلاق والربع الآخر يقبل التبديل في بعض احوال مخصوصة ويتعلق بها ويلاحقها بنشاط ولذا رأينا الشعب الانكليزي قد جاهد لاول وهلة ربما أدخلت عليه اساليب الارتقاء حتى المادي منه فلما دخله صار في لحمه وعظمه وهكذا شأن الامة العظيمة تتشدد في تقاليدها وتستنكف في الغالب عن قبول كل جديد الا اذا ثبت لها نفعه ثبوت الشمس والقمر .

مهما بلغ من انحطاط مكانة الرجل الانكليزي في المجتمع ومهما بلغت حرفته من الامتهان لا يحسد من كان اعلى منه منزلة وله من عمله الذي يستمتع بنفعه اعظم سلوى ولذلك قل ان مالت الطبقة العاملة في انكلترا الى تغيير نظام الاشراف في المجتمع وذلك لاعتقادها بان الاعمال مقسمة لان الحظوظ متباينة . وبينما ترى فرنسا تقول للوزير كن فكان مهما كان وضيعاً والنائب كن نائباً فكان مهما كان منحطاً في اصله والشريف كن شريفاً فيكون تجد انكلترا لا تسمح لوضيع ان يعد في جملة العظماء الا بعد [illegible]

الاجيال وذلك على نظام وترتيب تدريجي لان القوم بل الطبيعة في انكلترا تسير في كل شيء ولذلك اقتضى ان يكون ارتقاء الناس كذلك

من خصائص الانكليزي انه يشبه ميكانيكيا تعلم الحيل الميكانيكية بالتجربة لا بالنظر فاذا امرته ان يشتغل بالعمل آلة ما امكن من النتائج ولا يحرص على تبديل محركها او ادواتها علما بانه اذا فعل ذلك اقتضى عليه ان يوقف العمل وان يبذل لا شيئا وقتا واهتماما من رأس ماله المحدود وهو يدرك بانه اذا حدث للآلة ما يضر سيرها تقف حينا وتنقطع فوائده وفائدتها ولذلك يجد من نفسه داعيا الى القبول بتعديل آلة على ان يغير ادواتها القديمة بادوات جديدة ولكن بدون ان يوقف الآلة ويقلل من عملها

يعتقد الانكليزي بالضعف البشري ويلاحظون بضرورة اخذ الامور بالتدرج والبداءة بها من الصغير للوصول الى الكبير حتى لا تقف الفطرة في هذا الجهاد والامور في مجدد لا نعود منه ابداً الى شرائعهم يكتفون بتعديلها واصلاحها مع الزمن وما قط حدثتهم انفسهم ان يضربوا بها عرض الحائط ويضعوا غيرها من عند انفسهم . ولكن الانكليزي مع هذا اذا رأى الحق في تعديل قانونه يصر عليه فقد رأينا اصحاب الصحف على عهد الاصلاح البرلماني الكبير قد صعب عليهم ان يصدروا منشوراتهم الدورية لانه فرض عليهم ان يدفعوا عن كل نشرة طابعا باهظ الثمن فابوا الا ان يصدروها بدون طوابع تفرضها الحكومة عليهم ولكن جرائدهم ومنشوراتهم ظلت تصدر على عادتها بدون طوابع وأصروا الا رغما مضت اربع سنين على هذه المسألة وقد حبس لاجلها زهاء خمسمائة رجل ثم اضطرت دار الندوة ان تجيب الطلب وان كانت الحكومة تضررت من هذا الشيء المهم في الجباية

يفضل الانكليزي حبا باعمال نفسه على حين يفضل غيره من الامم الاحوال المثمرة التي تعقب الشرف او الراحة والرفاهية والدليل على ذلك ما نراه في اهل الطبقة العالية منهم من على من ثروتهم ما يغنيهم من تعاطي اي عمل كان تراهم يصرفون نصف ايامهم في الالعاب الرياضية الشديدة ولا يرون مكان الرياضات لهم كالفطرة الضرورية كما كانت الالعاب الاولمبية في يونان ايام عزهم ثم انك لا تجد شابا لا يصرف شطرا من وقته في النظر في شؤون مقاطعته وابرشيته وكثيرا ما رأينا الشاب في هذا الجيل على حين تجد ابنه في اوستراليا او مانيتوبا يعيش مع رعاة الغنم في تلك البلاد القاصية المنفردة وابنه الآخر من المرسلين في جنوبي افريقية يحمل شاق الاعمال

ويمتاز الانكليزي عن اكثر الامم تمسكاً بما فيه حرية والحرص الخاص على الشرعي بالحرية الشخصية والحرية المدنية كحرية الاجتماع وحرية الكلام وحرية القول وهو في نظام أسرته قد احتفظ حتى الآن بنظام الحكم المطلق فترى الابنة تأتي زوجها بدون ان يعطيها والدها بائنة لان العادة جرت بين الاغنياء وارباب اليسار ان يحفظوا لبكر الاولاد العقارات ويجمعوا الاشياء المنقولة به ويعطوا الاصغر منه سناً وتنال الابنة حصة من ذلك يكون في الاغلب قليلاً تدفعه من واردات ابيها . حرمت من ذلك حتى لا تجيء دار زوجها بيد [illegible] لان الرجال يريدون ان تكون لهم السلطة التامة في بيوتهم حتى اذا اتفق ان ازواجهم جاؤهن بشيء من المال يضيفونه الى ثروتهم ويحرمونهن حتى من الوصاية الى الاولاد ومن التصرف باموالهن . عادات قديمة ورثوها فحافظوا عليها وقد كان ابطال القرون الوسطى في اوربا قد اعلوا من شأن المرأة لانه من عادتهم الاخذ بايدي الضعفاء والعاثرين وفي انكلترا لم يدعو عليها هذا التلطف والزوجة مع زوجها وما يخطر لها ما تقول هي . وترى الوالد والوالدة يربيان ابنهما تربية [illegible] ولا ياخذهما شفقة في ذلك والولد اذا غاب عن والديه يلاطفهما واذا مثل بين ايديهما يحترمهما .

هذه بعض صفات الانكليز ومنها يرى الناظر الى [illegible] والى [illegible] اثر المثل الأبيض الباسط [illegible] الامم [illegible]

الامة تحبو

نريد بالامة هنا الامة العربية او الشعوب العربية وان كان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن غيرها وتستدعي بحثاً في حدتها ولكن ما يتعذر في التفصيل يحسن ان يذكر في الاجمال . ننظر نظرة عامة في حال العرب تجلى لنا ان كانوا ماضين نحو الرقي انهم يسيرون سيراً متثاقلا لا يعرفون الغاية ولا يهتدون الى وجه الحق سبيلا

اذا بدأنا بمراكش وهي اقصى حدود البلاد العربية نجدها لم تخرج في مجملها من امرها امة أُمية كما كانت في اواخر القرون الوسطى وهي في استقلالها وقربها من اوربا لم تتأثر بالمدنية الغربية وما زال اهلها يعيشون في حالة التعنت يأكل كبيرهم صغيرهم ويعيث حاكمهم بمحكومهم يرون السعادة كل السعادة ما هم فيه ولا تحدثهم انفسهم ان يغيروا ما بهم بل يحتجوا عن مس تقاليدهم وعاداتهم وجاهليتهم .

واهل مراكش في تقاليد مدنيتهم كالذين يحملون القشة في جبة الاصفياء في افريقية بالنسبة لاهل الاديان السماوية الراقية من اهل الفطرة الاصلية وليس عندهم من دواعي البقاء الا ما لا طبيعة تكفل لبل بها الحياة في رحمة مجتمعه ومهيئاته تتوحد كلمة المراكشيين في تباين افكارهم واعمالهم ومالت القبائل تعادى والحكومة كل يوم في شأن وليس بين قبائل البربر في الناحية وبين اهل فاس وضاحية الا كما بين عالم آخر . فالناس يسوغ ان يقال عنهم انهم لم يأخذوا شيئاً مما يطلق عليه اسم المدنية من باب الغرب وهم سكان الاعمال وخاصتهم لا يعرفون الا بعض المسائل الدينية والتاريخية وتقف معارفهم عند هذا الحد ومن المتعذر جداً ان ترى مراكشياً من العربيين في ملبسه ومعيشته ومأكله يتصور معنى المدنية الحديثة .

وهكذا اذا جئت تبحث في حال بلاد المغرب الاوسط اي الجزائر ولولا مبادئ من الافرنسية يقتبسها بعض الجزائريين طوعاً او كرهاً لرأيتهم كالمراكشيين في عتو الشدة والقسوة . اما حضرت الجزائر فسادة على التطبع بطابع المدنية الغربية في شدد السكان الاصليين واستنكافهم من الاخذ بها والتعلي من الانتقال منها تجد طائفتهم يكتبون من اصول تلك المدنية التي تحتوي الانجاز لهذا السبيل كما يعودونهم فرنسياً كما هي ارادة الحكومة والقوم مهما ابدوا من الجلد في مجاراة الاوضاع الافرنسية

ضطرهم بقوة واربعة انصف قرن ان يشعروا بكل ما تعرضه حكومتهم عليهم من الاوضاع والشرائع التي لا ترى لها ولم معادة بلادنا . والجزائريون لا يستطيعون على تلك الحال ان يدرسوا وحكمهم استعماري حتى ولا مبادئ امتهم ما يحول دون امانيهم من العوائق على ما يقال . وكانما الجزائر اذا دام امر المسلمين فيها في تراجع وقد اصبحت فرنسوية في كل حال من احوالها ولذلك ترى بعض اهلها يهاجرون منذ سنين ويتعلقون بطبيعة الهجرة عن عرضهم وعقارهم . وبدل مكانهم اناس من الفرنسيس والطليان والاسبان وغيرهم يستعمرون الارض ويتملكون الدور والعقار ويقبضون على ازمة التجارة . وقسم من الاهلين يقلد الافرنج مبتدئاً في طريقتهم ويحسن لغتهم وينسى لغته وتضعف وطنيته وجنسيته وعقيدته قليلا واولاده من بعده يصبحون افرنجا صرفا ان لم يكن في الجيل الثاني ففي الثالث والقسم الآخر من السكان وهو المهم الآن وفيه كثير من ارباب الغنى والفكر يجمعون الا قليلا بين الاخذ بمذاهب المدنية الحديثة مع المحافظة على تقاليدهم واوضاعهم وهؤلاء خير طبقة يرجى منها النفع الآجل والعاجل وهناك قسم آخر يجرفهم سيل المدنية الحديثة فيتقبلونها رضوا ام لم يرضوا

واما اذا حسبنا من تقلدوا الافرنسية اليوم من الجزائريين ولم يتعلموا لغتهم . مائتي الف نسمة من اصل نحو خمسة ملايين بعد ان حكمت فرنسا هذا القطر زهاء سبعين سنة فنرى عددهم يربو على ذلك اضعافا بعد مضي هذه الحقبة من الزمن . اذ ان العادات الغربية والمدنية تكون خفية في الغالب لا يدرك امرها ثم تقوى كالنار اصلها من شرارة ثم يمتد لهيبها وتشمل البعيد والقريب منها . ويخشى ان يكون حال الجزائر مع من يهاجرونها من ابنائها حال الجو في انكلترا مع سكانها فتقضي قاعدة الانتخاب الطبيعي وقانون الوراثة على العاجزين والخاملين ويبقى الشعب في الجملة من الاقوياء الاشداء العاملين الناهضين . لم تحاذر ان تقذف الجزائر بالخاملين الذين سدت في وجوههم مذاهب المعاش وان تستعيض عنهم بالعاملين من الغربيين او من الجزائريين انفسهم الآخذين بمذاهب الحياة أخذ الاوربيين .

من اجل هذا ساغ لنا ان نقول ان مستقبل الجزائر ان دام على هذا المنوال مظلم محزن ومثلها تونس وان كان الامل بنهوض هذا القطر اقرب من بعض الوجوه لان طرز حكومة الحماية يختلف بعض الشيء عن طرز حكومة المستعمرة لوجود حاكم من ابناء البلاد في الصورة ولان بعض المتنورين من اهلها لم يسعهم بعد طول الروية الا

[illegible] الى الرقي باسباب الاستقلال بعد زمن طويل ومتى بدلت التعاليم [illegible] المناحي الاوربية وعدم انفصال التعاليم القومية والمذهبية . وهذه البذرة في صدرها لا بد ان يأتي يوم عليها تكبر فيه دوحتها وتورق في ارض فرنسية .

اما اقليم برقة وولاية طرابلس الغرب فشأنها في اتساع رقعتها وكثرة سكانها شأن البلاد المتأخرة جداً وجمودها في الاخذ بمذاهب الحضارة جمود [illegible] كثيرين وبلادها حتى الحواضر منها ادنية اكثرها مقصورة وقلما تجد نزوعاً الى التعلم الحقيقي فيهم والمهتمون منهم يرون الاكتفاء بان يتعلموا مبادئ العلوم في مدارس الحكومة [illegible] في عدمها اما سائر مذاهب المدنية فقد [illegible] ان تقول عنهم انهم كالاطفال يلهون ويلعبون [illegible]

فمثال مصر وسوريا معقد الآمال في مستقبل هذه الامة لان توسطها بين الاقطار العربية ومركزها الجغرافي الذي ادى الى احتلالها [illegible] الاخرى [illegible] وخصب تربتها واتساعها وكثرة سكانها كثرة لم يتأت لواحد كوادي النيل الذي يحوي منه نحواً [illegible] مرافق العيش وانتقال حكومتها بعد الاسلام الى اختلاف الدول التي حكمتها ومدنيتها القديمة ونظامها الذي عم ارجاءها [illegible] امصارها وتسلل [illegible] في ابنائها الاخذ بمذاهب الحضارة الغربية وتأسيس اوضاعها والعناية بما يبقي عليها جنسيتها وغلبت كل هذا شأنا يرجى منه ان يكون حضارة عربية [illegible] تأخذ ان شاء الله من الحضارتين [illegible] في [illegible] باليوم عزمت ان تنشأ نشأة راقية تضاهي بها دول اللغة والمدنية الحديثة وتحلى من شعائرها وتتناول كل ما تمت اصلاحاتها اليه من اسباب الحضارة العربية [illegible] لا شرقية ولا غربية يكاد [illegible] يأخذ الابصار

واما سوريا فان للعمران [illegible] في الارتقاء وفيها الذين [illegible] من الغربيين [illegible] وبلادهم [illegible] ما يلزم لامة من ادوات الرقي في [illegible] الاستقبال . واذا كانت لبعض ابنائها رغبة في تلقف العلوم الطبيعية والصناعية كما اولعوا بالعلوم الادبية والسياسية تصبح بعد نحو عشرين سنة كأمة اوربية راقية وربما فاقت الآن [illegible] في قارة [illegible] كثيراً من الشعوب المنحطة في جنوبي اوربا

اما سورية فقد نشأت لها مدنية خاصة [illegible] كذلك [illegible] مجاورتها [illegible] اوربيتها [illegible] بالعلوم [illegible]

الدولة العلية عليها ولكنهم لم يوفقوا الا الى تعليم افراد في بعض البلاد قضت عليهم مصالحهم التجارية كأهل حلب وما جاورها ان يتعلموها او غرامهم بالوظائف العلمية والعسكرية والملكية كأهل دمشق وطرابلس وبيروت ايضاً واما الذين تأثروا من ابنائها بالمدنية الغربية الحديثة من المدارس الفرنسوية والاميركانية والانكليزية والروسية وغيرها اوفر عدداً وان لم تكن تلك المدارس اقدم زمناً وارسخ قدماً في كل الاقطار فهي في فلسطين اي في جنوبي سورية اكثر مما هي في شماليها وفي غربيها اكثر مما هي في شرقيها فتجد الناشئة الجديدة الى المناحي الغربية في القدس ويافا وحيفا وعكا والناصرة وصور وصيدا وبيروت ولبنان وطرابلس والاسكندرونة اكثر مما تجد منهم في نابلس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية . وكلما كثر في بلد سواد المسلمين كان البعد عن الاخذ بمدنية الغرب اكثر من غيره من المدن المختلفة اديانها وتباين اغراض القاطنين فيها

وعندنا ان الحكومة تحسن صنعاً اذا نشطت في هذا القطر اللغة العربية اكثر من اللغة التركية او على الاقل جعلتهما شقيقتين ليكون لها من ابنائها اكفاء في صد تيار المدارس الاجنبية التي تعد الناس للهجرة اكثر من تحبيب بلادهم في اعينهم اما السعي في تتريك العرب في سورية وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق والجزيرة فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم يطول معه زمان نهوضهم الحقيقي والاتراك ليسوا بمدنيتهم الى مستوى الفرنسيس والانكليز في الرقي ومعرفة المدخل والمخرج مثلاً حتى يفيضوا من علمهم على العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عبثاً في نشر التركية فقط في البلاد العربية والدليل على ذلك ان الولايات التركية احط بكثير من بعض الولايات العربية فولايتا سورية وبيروت ارقى ولا شك من ادرنة وبورصة كما يؤكد ذلك من طافوا هذه الولايات الاربع وخبروا قراها كما خبروا مدنها اما درجة التهذيب والتعليم في سورية فارقى من بلاد الاكراد وارمينية وولايات آسيا الصغرى اي الاناضول ولذلك جاز لنا ان ندعي ان السوريين كالطفل بدأ يحبو نحو المدنية الا انه لم يحتذ له خطة معينة حتى الآن وحاله مناط بصلاح نوابه بل نواب العرب وكفاءتهم في مجلس النواب واذا احسنوا النيابة نالت هذه البلاد حقوقها الادارية والعلمية والعمرانية والا فتبقى في حالة التذبذب

اما سائر الاقطار العربية فلا يسوغ لنا ان نقول انها اخذت تحبو مادامت الفتن

تنهك قواها وذلك مثل بعض انحاء العراق ونجد واليمن فان الامن لا يكد يقر في مكانه في قطر من اقطارها مدة طويلة ويشتد شعوران بين سنة المحكومة الآن وتنتشر الفتن في بقعة من بقاع اليمن ونجد حتى في سورية ونجد والعراق ولا بقايا مدنية تخلفها المدنية في خليج فارس فيما بين البصرة وبغداد شيء قليل من تلك الآثار الحديثة التي يحملها الراحلون الى الشرق من اهل الغرب الى بعض مواني البحر من جهة الجزيرة العربية لقلنا ان هذه لم تختلف حالتها من بضعة قرون الا ما كان من خلل الامن فيها

وبعد فان حال هؤلاء الذين في اليمن والحجاز والبصرة وبغداد والجزيرة والشام وداخلية العرب يدل على ان الانتفاع من قليل منظرهم من كثير ما [illegible] اهل سوريا [illegible] لم يصيبوا سوى جزء من عشرين جزءاً من العرب [illegible] من سواحل بحر الظلمات الى شواطئ المحيط الهندي اكثر اثراً في المدنية من العرب اليوم وهم لا يقلون عن ستين مليوناً وما ذلك الا لبعد اقطارهم واختلاف الاغراض في حكوماتهم فجذبها اما الى اليقظة العربية او الى الاهمال المدهش . افراطا او تفريطا وكلا طرفي ان زاد قتل .

اما سائر البلاد العربية كرعمار السودان واواسط افريقية فحالها تبع للاقدار وهي اقرب الى الاصطباغ بصبغة ما [illegible] عليها لان اهلها لم [illegible] الاخذ باسباب [illegible] الاصل مدنية راقية زالت ثم بدأت تعود ولان الاقاليم الحارة تفعل في عقولهم فعلها كما تفعل الاقاليم الباردة في عقول الساكنين فيها فتنشطها وتبعث فيهم قوة الارادة والثبات وتطلب منهم مطالب كثيرة تضطرهم الى تنويع اساليب العمل

وبعد فليس كمصر بين البلاد في رقيها في ام الاقطار العربية وسوف تعلو غيرها كما علمت بفضل النهضة المباركة في الاقطار ولا سيما الآن بعد استقلالها الاداري واصبحت ذات دستور تحل حوزتها بعض البلاد بحسب طالع الحكومات التي تتولاها

والمدنية كتيار قوي لا يقف في وجهه سدود الحكومات مهما احتاطت . ورابطة اللغة والدين اقوى الروابط لا تؤثر فيها القوانين الموضوعة مهما طرأت والامة الآن تحيا . ويوشك ان تمشي مشية الشاب القوي العضلات [illegible] الادوات والصفات خصوصاً اذا تمادت وتعارفت اكثر مما هي الآن وتعارفت وعادت الصلات الاقتصادية الى التجارية اذا قربت بين هذه البلاد اكثر مما هي الآن ووصل التاجر الراقي من العراق الى تونس وعاد المراكشي الى الشام دون [illegible] مصر وكثرت العلاقات والمواصلات والشركات النافع والتحدث بحالها [illegible] بعد قرن او قرنين — والقرن والقرنان [illegible]

شيئاً في حياة الامم — ان هنالك امة عربية ذات كيان يذكر لا يقل عن كيان الطليان والالمان او اليابان والاميركان والمصريون يفتخرون بالوطنيات بالثقات واحياء ما تدثر من القوات بضم شملها بعد الشتات ولا سبيل الى النهوض الا باحياء اللغة والآداب وتذكير الابناء بما فعل الآباء والافق في هذه الامة الكثيرة الحصا الواسعة الباع والاصطناع امام المدنية الغربية اقرب الى الاضمحلال منها الى البقاء ومتى أزف موعدها يتعذر رؤاها . سبحان من يحيي العظام وهي رميم

العفة

وتمدح العرب بها

العفة خلق يعصم صاحبه عن تناول ما لا يحل . فاذا عرض له ما يعد محرماً . او سنحت له شهوة محظورة حال هذا الخلق الكريم بينه وبين التلوث بها . والدال على استعمال كلمة «العفة» في تجنب قاذورة الزنى . ومن اكرم نفسه عن هذه القاذورة كان في منجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . ويكفي الزاني خزياً في دنياه ان يكون محتقراً في ذويه معرضاً للعاهات والامراض الخبيثة . وان يصبح قدوة سيئة لأهله وولده في سلوك هذا الطريق المشؤوم . واني اعرف رجلاً ابتلي بهذه الرذيلة فكان له في كل يوم خليلة يختلف اليها . وينفق من رزق عياله عليها . وكان له زوجة واولاد فلم يكن امره ليخفى عليهم مهما بالغ في الكتمان . ولما بلغ اكبر اولاده سن الرشد مال الى هذا المنكر وشغف بحب الفاحشة . فجعل يسافر من بلد الى بلد في طلب الفتيات . وتعاطيهن . والانفاق عليهن .

وكيف يكون موقف الاب اذا نهاه عن مثل هذا؟ أتراه يقدر ان يكبح جماحه وارجاعه عن غيه . واقناعه ان ما هو فيه يؤدي الى قبح الاحدوثة . وضياع الشرف . وخسار الصحة . وعذاب الآخرة . واذا صح له ان يقول مثل هذا القول ماذا يكون جواب ابنه له يا ترى؟ وفي مثل هذه القصة قال الشاعر في المثل السائر .

اذا كان رب البيت بالطبل ضارباً   فلا تلم الصبيان فيه على الرقص

وقديماً ما تمدح العرب بالتحلي بالعفة . والابتعاد عن الخبث والقاذورة الفحشاء . بل تجنب كل ما يشين جهرة وخفية . ويدعو الى سوء الاحدوثة . فكانوا لذلك لا يزنون بامرأة جاره في غيبة زوجها انفاً وتكرماً .

وهذا كان جواداً مثل حاتم الطائي · وكان له جار بادي الخصاصة · احتال في ارفاد زوجته الشاة غيبته من دون ان يراها · او يدخل بيتها وقد دل حاتم على خلقه هذا في قوله :

وما تشتكيني جارتي غير انني   اذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلها   اليها ولم تسبل عليّ ستورها

قوله وما (تشتكيني) اي لا يمكنها ان تشكوني الى نساء الحي فتقول ان حاتماً بخل علي · ومنع عني معروفه · في غياب زوجي · لا تقول ذلك لاني كنت لا اقصر في فعل كل ما يدعم عيشتها · ويكفي حاجتها · الا الزيارة فاني كنت ادعها مدة غياب زوجها · وقوله (سيبلغها خيري) اي يصل اليها معروفي ورفدي ولا ازال كذلك حتى يرجع زوجها من دون ان ادخل خدرها · وتسبل علي سترها ·

وقال حاتم ايضاً في هذا المعنى :

ناري ونار الجار واحدة   واليه قبلي تنزل القدر

يقول ان جاري لا يبصر ناراً لنفسه وانما تكون ناري له ناراً فيأكل هو وعائلته مما يطبخ عليها · بل ان القدر تنزل عن النار وتقدم اليه ليتناول منها حاجته قبلي

ما ضر جاراً لي اجاوره   الا يكون لبابه ستر

لا ابالي ان لا يكون ستارة في باب بيت جاري · وذلك لاني عفيف العين فلا اخشى على نفسي التطلع الى داخل البيت · والنظر الى النساء اللائي فيه ·

اعشو اذا ما جارتي برزت   حتى يواري جارتي الخدر

هذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه الى حاتم : فيقال له احسنت اذ لم ترسل نظراتك الطائشة من خلال الستور الى نساء جارك ولكن كيف تصنع اذا برزت الجارة من خدرها وتمشت بين الطرق والبيوت فقال اني اذ ذاك (اعشو) اي اغض عيني او اغمضها فلا اعود ابصرها حتى تدخل خدرها · وتتوارى فيه · واصل (العشى) مقصور من دون همز — ان يضعف بصر المرء فلا يعود يبصر في الليل · وان كان يقدر على الابصار في النهار · والوصف منه اعشى · وبه سمي الشاعر المشهور » · والناقة العشواء « التي لا تبصر امامها هي تخبط بيديها كل شيء يعترضها · وتتعسف الطرق على غير هدى · ومن المثل فلان يخبط خبط عشواء ·

وقد تجوز عنترة فاستعمل « المشي » هنا بمعنى غض العين · او تخزير الجفن بحيث لا يعود يبصر الا كما يبصر الاعشى الضعيف البصر ·

وقد اعطانا هذا العربي الكريم في شعره درساً جليلا في الاخلاق وفي آداب معاملة النساء يجدر بنا ان نحفظه · ونحتذي مثاله · فلا نتعرض الى النساء الاجنبيات · ولا نسارقهن النظرات الخائنات

وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي بما افتخر به حاتم فقال :

واني لعف عن زيارة جارتي   واني لمشنوء الي اغتيابها

(مشنوء: مبغض مكروه · يقول انه يكره ان يزورها لئلا يساء به الظن فيهما · كما يكره ان يغتابها لئلا يقال انه نزل لمنافسة النسوان ·

اذا غاب عنها بعلها لم اكن لها   زواراً ولم تنبح علي كلابها

« زوار » على وزن غراب بمعنى كثير الزيارة ومن مادة الزيارة سمي الرجل الذي يكثر من زيارة النساء وغشيانهن ومجالستهن « زير » وبه سمي المهلهل اخو كليب « الزير » ويقال فلان « زير نساء » اذا كان مولعاً بمجالستهن وحديثهن

وما انا بالداري احاديث بيتها   ولا عالم من اي حوك ثيابها

« حوك » مصدر حاك الثوب حياكة وزير النساء يعمل على تعرف احوالهن وتسقط اخبارهن ويدري ما اذا جرى بينها وبين جارتها او خادمتها · وماذا رأت او سمعت في العرس او المأتم الذي ذهبت اليه · وقد يستخبرها عن نسيج ثوبها · ومن اي صنف او جنس هو · ومن اين اشترته · وعند اية خياطة خاطته — كل هذه الاسئلة لاجل ان يكون له مادة للحديث يشغلها به حينما يزورها او يحادثها · فشاعرنا العربي لم يقصر في درس طباع هؤلاء الازيار « جمع زير » ومعرفة غريب حيلهم · فهو ينفي عن نفسه ان يكون فاسقاً مثلهم او يشغل النساء اشتغالهم ·

ومثله في ذلك عقيل بن علفة المري الذي يقول من ابيات :

ولست بسائل جارات بيتي   اغياب رجالك ام حضور

(اغياب جمع غائب · وقوله (رجالك) اصله (رجالكن) بالنون لان الخطاب للجارات وهن جمع · ولكن هذا الحذف او الخطاب بالمفرد جائز في الشعر فقط :

يقول : انه لا يسأل هذا السؤال ليتوصل به الى محادثتهن · او انه لا يسألهن اياه لارادة الدخول عليهن · وقضاء لبانة منهن

ولست بصادر عن بيت جاري   صدور العير غمّره الورود

(العير) حمار الوحش . ووروده مجيئه الماء يريد الشرب وصدوره رجوعه عنه بعد شربه منه . و (غمّره) بتشديد الميم من التغمير . وهو ان يرد حمار الوحش الماء فيشرب اول الشرب ثم يحس بالصائد الكامن له في الماء فيرجع نافراً غير متلبث وبه الى الماء حاجة ونفسه تدعوه الى العودة .

فالشاعر يقول اني لا ادخل بيت جاري ابتغاء الريبة . وارده كما يرد عير الوحش منهل الماء . حتى اذا علمت بان الجار في البيت صدرت ورجعت مسرعاً كما يفعل عير الوحش متى احس بالصائد القانص اذ ينقلب عن المنهل متمراً تغميراً . وهو شديد الظمأ اليه .

ولا ملق لذي الودعات سوطي   الاعبه وربته اريد

(ذو الودعات) هو الصبي الصغير الذي يعلقون عليه الودع خشية العين ومسيس الجن . وقوله (ربته) تأنيث (رب) وضميره يرجع لذي الودعات . وهو يريد امه : لانها تربه وتملك امره وتصلح من شأنه . حتى يبلغ كماله . والتربية مأخوذة من هذه المادة .

وقد زاد الشاعر معنى لم يقله صاحب الشعر السابق : فهو يقول انه ليس بالوضيع الذي يتوصل الى مغازلة النساء ومحادثتهن بمناغاة اطفالهن وملاعبتهم . فاذا رأى طفلاً مع امرأة حسناء او خادمة وسيمة القى الى طفلها سوطه او سبحته او سيكارته يظهر من نفسه الرحمة بالاطفال وشدة العطف عليهم . والامر ليس كذلك وانما هو فاسق يريد صاحبة الطفل . ويرمي بها السوء .

واسلوب هذه الابيات يعطي ان قائلها يريد التعريض بعدو منافس له : كأنه يقول اني لا احفل بامثال هذه الشناعات وانما ذلك خصمي فلان هو الذي اعتاد فعل ذلك .

ومثل قوله الاخير قول الآخر

لا آخذ الصبيان ألثمهم   والامر قد يغزى به الامر

(يغزى) من غزا قصده . ومنه غزو العدو . لان الغازي يقصدهم في موضعهم . ومنه ايضاً (مغزى) الكلام . و (مغزى) القصة اي المعنى المقصود منها . فلثم الصبيان هنا ليس مقصوداً لذاته وانما هو امر قصد به امر آخر . وهو تجميش المرأة والتفكه بحسنها وجمالها . وشكلها ودلالها .

ولا نريد « بالشكل » هنا الهيئة والصورة وانما هو بمعنى الغنج والدلال وشبههما تغنج وتكسر . شكلت المرأة كفرحت فهي شكلة .

اما « التحميش » فلا اجد لنفسي التصريح باصل اشتقاقه . وانما اكتفي بتفسيره بالمغازلة .

وخطر لي الآن ان المغازلة — ويراد بها محادثة النساء بكلام الحب — مشتقة من غزل القطن والصوف . وانما سميت هذه المحادثة بهذا الاسم . لان الزير يجلس الى المرأة وهي تغزل فقد يساعدها بالغزل او بحل الخيوط المعقدة او يسألها عن غزلها وما تريد ان تنسج به مثلا ويكون الزير بعمله هذا كأنه شاركها في الغزل . ولذلك جاء فعله (غازلة) على بناء المشاركة . ثم يتوصل الزير بهذه المشاركة الى احاديث اخرى يعملها الازيار . ومن لطائف المتأخرين قول بعضهم :

وزان بحب الزنا مغرم اماط رداء الحيا واطرح
يقبل اولادهن الصغار ومن عشق الدن باس القدح

المغربي

اخبار وافكار

الجمعية الخلدونية

في الشام ومصر وتونس جمعيات اسلامية كثيرة غايتها تعليم ناشئة الامة وبث روح العلم والفضيلة في النفوس واهمها فيما نرى جمعية مآثر التربية والمقاصد الخيرية في بيروت والجمعية الخيرية في القاهرة وجمعية العروة الوثقى في الاسكندرية والجمعية الخلدونية في تونس . وقد بلغنا الآن الخطاب السنوي لرئيس الخلدونية القاه في الاجتماع السنوي لانتخاب رئيس واحد عشر عضواً كما يقضي بذلك نظامها قال فيه انه لا تسمو كلمة الامة ولا يتقدم لها شأن الا باشتراكها في السعي والعمل والقول والفكر وانه من اجل هذا تألفت في العالم المتمدن الشركات والجمعيات الادبية والعلمية واتحدت افراداً اعلى شعوراً واحساساً . ورغبة في الحصول على هذه الغاية الشريفة سعى نخبة من فضلاء الامة التونسية فوفقوا لتأسيس الجمعية الخلدونية العلية التي مضى عليها الآن مدة تناهز اربعة عشر عاماً لم تزل في غضونها دائبة على القيام بوظيفتها من توسيع نطاق المعارف ونشر العلوم

العصرية بين الشبيبة التونسية عامة وتلامذة الجامع الاعظم خاصة لاعتبار هذا المعهد الملي كفرع للكلية الزيتونية .

ومع قيامها بتلك الوظيفة السامية لم تزل ابدا تبحث عن الوسائل الموصلة لاستكمال ذلك وترتب الدروس في الفنون غير المزاولة بالجامع الاعظم زيادة على التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة من بقية العلوم الرياضية والطبيعية التي لا يحسن الجهل بها في الاوقات الحالية

وقال : ان مادة حياة الجمعية هي اعانة المشتركين من ذوي الهمة والمروءة الذين قدروا المشروع حق قدره واستمروا على مساعدته بالهمم والكرم . وعناية اعضاء لجنة ادارتها ورؤسائها الفضلاء السابقين الذين يحق للجمعية ان تفتخر بحزمهم وسعيهم في ترقية الجمعية وتصييرها من ارقى الجمعيات الاهلية في شمالي افريقية وخص من بينهم بالذكر سيدي محمد الاصرم الذي بذل جهده في هذا السبيل وانفق وقتا ثمينا من حياته تحسين تراتيبها واساليب تعليمها . ثم اعتناء السادة المدرسين الذين قاموا بخطتهم احسن قيام وساعدوا الجمعية على نشر العلوم التي كانت مفقودة في تونس وترجمتها من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية ونذكر في مقدمتهم سيدي البشير صفر والسيد حسن عبد الوهاب والسيد صادق التلاتلي والسيد عبد الرزاق القطاس وغيرهم .

وقال : ان اهم نتيجة تحصلت للجنة في السنة السابقة مضاعفة الاعانة المالية المخصصة للجمعية من ادارة الاوقاف وتقريرها بموافقة الجلسة العامة من تغيير مدة التعليم تصييرها عامين بعد ان كانت عاما واحدا حرصا على ان يكون المتخرجون من مدرسة الجمعية اكثر علما واوفر استعدادا لتلقي الدروس العالية او مباشرة الخدم العاملية ومن تكميل نظام التعليم بها بشمل بعض فنون عصرية كالفلاحة والكيمياء وحياة الحيوان والانشاء العربي ومبادىء اللغة الفرنسوية الخ .

هذا اهم ما ورد في خطاب الرئيس ولعل بعض قرائنا يودون الاطلاع على الغرض الحقيقي من تأسيس هذه الجمعية الراقية فنقول لهم نقلا عن تقرير صدر سنة ١٩٠٦ وهو مصدر باللغة الافرنسية ان اول من اقترح تأسيسها المسيو روليه الملحق العسكري بالمقيم العام في تونس وكان من المتبحرين في المسائل الاسلامية والواقفين على حركة النهضة المصرية فوقع في نفسه انه في مكنة شبان تونس المتخرجين في المدارس الفرنسوية ان ينشروا في القطر التونسي الاساليب الحديثة المتبعة في بعض بلاد الشرق ويحملوا جامع

الزيتونة على ما يناسب حال النهضة العلمية الحديثة فاذا صلحت حال هذا الجامع الاعظم يصبح كما كان مبعث النور في العالم الاسلامي ولاسيما في شمال افريقية . وهكذا سعى الى تأسيس هذه الجمعية فأنشأها زمرة من الفضلاء والمفكرين ودعوها الخلدونية نسبة الى ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف الذي وضع في مقدمته اصول التعليم والاصلاح العلمي .

ومن مطالبها فتح دروس والقاء محاضرات في التاريخ والجغرافيا واللغة الافرنسية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والطبيعة والكيمياء خاصة وان تسهل على من فيهم استعداد لسلوك سبل الارتقاء في العلوم ونشاط في احداث خزائن كتب وان تنشئ مجلة بالعربية والافرنسية تعرف الغرب بالمدنية العربية الشرقية وان تأتي بالحضارة الغربية

وبعد تأسيسها بمدة اعطيت مدرسة من المدارس القديمة جعلتها محلاً لصفوفها ومسامراتها ومكتبتها التي كانت تحوي سنة ١٩٠٦ نحو ٦٩٠ مصنفاً بالعربية والافرنسية وقعت في ١١٥٣ مجلداً وفيها الامهات المهمة ولاسيما ما يتعلق بتاريخ تونس وعمرانها ومدنية الاسلام

وقد لقي هذا المشروع معاكسات قوية بادي بدء وكثرت فيه الظنون والتخرصات على نحو ما يلقى في العادة كل مشروع في الشرق ولكن عرف القوم بعد حين سلامة قصد القائمين وسكنت الالسن عن تناول الخلدونيين بسوء خصوصاً لما يرون من حماية سمو الباي والدولة المستعمرة لجمعيتهم ولان المتخرجين في مدرستها اذا كانت بايديهم شهادة يفضلون على غيرهم في الوظائف

والدروس والمحاضرات التي تلقى في تلك المدرسة هي الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وقد اتخذوا معملاً كيماوياً في مكتبة المدرسة ليطبقوا العلم على العمل ثم اضافوا الى هذه الدروس علم المساحة ورسم الاراضي (الطوبوغرافيا) والرسم والجبر . واهم ما تدور عليه المحاضرات تدبير الصحة العقلية والنظام القضائي في تونس وقانون العقارات وعلم الحقوق الاسلامي والفرنسوي والاقتصاد السياسي والاقتصاد الزراعي يلقيها في الغالب اعضاء الجمعية وفيهم العلماء والكتاب والباحثون باللغة العربية وكان المستمعون قلائل جداً بادئ الرأي فلما ثبتت الجمعية ارتقوا من العشرات الى المئة والمئتين . وكانت واردات الجمعية سنة ١٩٠٦ — ٦٨٨٩ فرنكاً ونفقاتها كذلك ولا شك انها زادت الآن بحسب حاجة العصر وارتقاء مدارك اهله . وقد انتخب لرئاسة الخلدونيين هذه السنة السيد عبد الجليل الزاوش من علماء تونس وارباب الافكار فيها .

الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر

بلغ مجموع الايراد عند الجمعية الخيرية في سنة ١٩١٠ = [illegible] جنيهاً و٧٠ مليماً منها ٢٩٩٧ج و[illegible] من التركات و[illegible] ايجار اطيان و٢٩١٧ج و٨٩١م الاحتفال السنوي منه مبلغ [illegible] [illegible] ٥ج و[illegible] تبرعات و٢٠٣ج [illegible] مرتبات خيرية [illegible] ايرادات متنوعة و٦٧١٣ج [illegible] أجور تعليم و١٣٧٨ج و٥٦١م ثمن كتب وأدوات [illegible] احمد افندي عاكف [illegible] وحضرة عبد الرحمن بك رضا ٥٥ج و٧٦٥ مليماً ومبلغ اجمالي المصروفات ١٨٠٥٢ج و[illegible] وبلغ الباقي بعد نفقات سنة ١٩١٠ [illegible] العامة [illegible] مليماً

التعليم الدنيوي

نشر المسيو كومباري من علماء الفرنسيس مقالة في مجلة المجلات الباريزية بشأن التعليم الدنيوي العام في فرنسا وحاضره ومستقبله جاء فيها ان حكومة الجمهورية تصرف كل سنة ٢٣٠ مليون فرنك على التعليم [illegible] عدا ما تنفقه على بناء البيوت اي المدارس [illegible] بحسب احصاء سنة ١٩٠٥ [illegible] من ١٢٥ [illegible] من الصبيان والبنات وكان عدد المتعلمين سنة ١٩٠٦ في المدارس [illegible] ٤٦٥٤٢٦٣ [illegible] مدارس [illegible] في المدارس الخاصة و٢٣٨٢١٣ في مدارس الرهبانات [illegible] فرنسا مدارسها في [illegible] الاخيرة [illegible] كثرت [illegible] وانتشرت المدارس حتى في القرى البعيدة فكان عدد مدارس القرى [illegible] سنة ١٨٤٣ = ٣٨٠٠ مدرسة فاصبحت سنة ١٩٠٦ = [illegible] مدرسة

[illegible] الى اخراج [illegible] من ظلمات الأمية [illegible] عدد الأميين من [illegible] سنة [illegible] = ١٨٥٣ لا يقرأون ولا يكتبون و[illegible] سنة ١٨٧٢ = ٥٦٠٠٠ أي [illegible] عدد الاميين في [illegible]

الجيش السويسري العامل وقدره ٢٨ الفاً عشرين أمياً فقط وفي الجيش الالماني واحد في الالف بعد في الاميين والسبب في كثرة الاميين في فرنسا بالنسبة لغيرها جهل بعض الآباء واهمال الاولاد على كثرة تشديد المعارف والملاحقات على اولياء الاولاد الذين يهملون ارسال اولادهم الى المدارس الابتدائية يتعلمون ثلاث سنين مايخرجهم عن حد الأمية .. والسبب الاجتماعي الذي يدعو في الغالب الى تخلف الاولاد عن دخول المدارس قلة ذات ايدي آبائهم فلا يستطيعون ان يظهروا في بزة تناسب حالهم بين اترابهم ولكن الحكومة تداركت الامر وانشأت منذ مدة صناديق للمدارس يضع فيها المحسنون صدقاتهم ومنها ينفق على الاولاد المحاويج مايلزمهم من كسوة وطعام سخن في الشتاء ولكن لم تعم هذه الطريقة اقطار فرنسا كلها وبلغ عدد الصناديق المدرسية ١٧ الف صندوق في ٣٧ الف مديرية او مقاطعة

وبعد ان قال ان الفقر هو من الدواعي الكبرى التي تحول دون اولاد الفلاحين والاختلاف الى المدارس ذكر ان بعض الذكور يحتاجون ان يعملوا ليطعموا بعض أسرتهم ومن الاناث من يقمن على تربية اخواتهن واخوتهن مدة تعب والداتهن في الحقول وان اولاد الفلاحين ينقطعون عن المدرسة لانك تراهم معظم السنة يشتغلون بحش الحشيش او الزرع او الحصاد او قطف الكروم

ومن اعظم مايحول دون تعميم المدارس الدنيوية نقمة رجال الدين فانهم حرموا في فرنسا من يختلف الى مدارس الحكومة لانها لا تعلم الدين وطردوا اولاداً لم يرقهم امرهم ومنعوا تلاوة كتب لم تؤلف على هواهم فالتعليم المدني لم يفلح بل ما يجب بعد لضعف الوازع الاخلاقي ولانه من الصعب ان تعلم امة بأسرها تعاليم العقل وتطبق نفسها على نظامه واشراب التعليم الاخلاقي لآن شبان صغار في عقولهم لايتأتى لهم ان يقدروا نتيجته حق قدرها

ومن الطرق التي ارتآها بعض الاساتذة في اصلاح هذا الخلل ان يعلم الكبار الذين لم يسعدهم الحظ بدخول المدرسة في صغرهم كما تفعل المانيا في تعليم جيشها الامي حتى يكون القرن العشرون قرن العناية بالشبان كما كان القرن التاسع عشر عصر العطف على الاطفال .

ويرون ان خطط الدروس الابتدائية كثيرة المواد يختلط بها ذهن التلميذ فالاولى الاقلال منها ما امكن وطبع صورة اجمالية في ذهن التلميذ بعده فقط لمبادئ حقيقية

لا يذهب بها ذهنه وتكون برزخاً له الى الانتقال الى تعلم الصناعات المفيدة او التعليم الثانوي فالعالي

وقد نصح الكاتب للاساتذة ان لا يدخلوا غمار السياسة ولا يسمعوا لكلام من ساءهم فصل الحكومة عن الكنيسة ويطمحون الى ان ترفع الحكومة يدها من التعليم وتمنح المعارف استقلالاً حتى تكون للامة مباشرة يريدون بذلك ان يجعلوا حكومة في حكومة فقال لهم ما قاله جول فري مؤسس التعليم المدني لبعض الاساتذة « اياكم ان تأملوا ان يكون منكم رجال سياسة فخير لكم ان تنشئوا عشرين وطنياً صالحاً من ان تساعدوا على انتخاب نائب في مجلس الامة ».

وليس معنى المدارس المدنية انها ضد الاديان بل معناه انها على الحيدة لا يحب القائمون بأمر الامة ان يلقي المعلم في المدرسة رأياً خاصاً له او رأياً من الآراء التي تروج في الشوارع والازقة بل تريده على ان يترك من وكل اليه تعليمهم ان يفكروا كما يشاؤن فاذا خالف ذلك واورد لهم مبدأً دينياً يخون وطنه وامته فالمدارس المدنية ليست مدارس الحاد فاذا كانت لا يذكر فيها اسم الله فليس الغرض منها انها تخالف الله .

البعثة العلمانية

اصدرت البعثة العلمانية او المدنية في بيروت مجلة تكون لسان حالها باللغات الثلاث العربية والتركية والافرنسية سمتها « الرابطة » وكل قسم من اقسامها منفصل عن الآخر فقرأنا فيها مطالب هذه البعثة في الشرق وقد أسست لتنفيذها مدارس في القاهرة والاسكندرية وسلانيك وبيروت وغيرها من البلاد والحواضر . وهي ترجو ان « تعدد في هذه البلاد التي فرقها التعصب دهراً طويلاً المدارس العلمانية مدارس التساهل والاتحاد والسلم التي يجتمع في مقاعدها الموسوي والعيسوي والمحمدي جنباً الى جنب فيتعلمون كيف يحب بعضهم بعضاً وكيف يحترم بعضهم دين بعض وشريعة بعض فلا يكونون من بعد اعداء يباغض بعضهم بعضاً ويخادع بعضهم بعضاً ويتفارسون ؟!

وقد جاء في هذه النشرة ان البعثة العلمانية الافرنسية أنشئت لنشر التعليم اللاديني في غير فرنسا سنة ١٩٠٢ وعدد اعضائها من الفرنسيس اليوم نحو عشرة آلاف يقسمون الى عدة فروع منهم من يدفع فرنكين في السنة ومنهم من يدفع خمسة ومنهم من يدفع عشرة ومنهم عشرين والغرض من ذلك بث التساهل لا الطعن بالاديان وتعليم الحضارة الافرنسية والحضارة الشرقية بحسب حالة البلاد وان عملها السياسي تقصد به تحسين حالة

الثلاثة في الماديات والمعنويات وتكميل الانسانية في المعقولات والاخلاقيات. وذكرت كلاماً للفيلسوف ادغار كينه (١٨٠٣ – ١٨٧٤) احد المبشرين الأول بالتعليم العلماني قال في الجمعية الوطنية: انما نعيش ابداً حب الوطنيين بعضهم بعضاً بقطع النظر عن معتقداتهم لعسى ان تكون كما قال واكده مئات بعده من انصار الجمهورية واحباب الاستعمار وبث الافكار

فلسفة اديسون

طلع هذه المرة اديسون الاميركاني مخترع الكهربائية جميع الفلاسفة الالهيين في الاعتقاد بخلود النفس فصرح ولم يجمجم باعتقاده المادي وانكر الخلود محاولاً ان يورد حجة الى دعواه في حوار له مع احدهم فقال: ليس الانسان انساناً بذاته بل هو بالخلايا التي فيه. فالدماغ الانساني هو كآلة فلا سبيل لنا من ثم الى الاعتقاد بخلود الروح كما لا سبيل الى الاعتقاد بخلود اسطوانة من اسطوانات آلة الفونوغراف فيه على اننا لم نجد حتى الآن احداً قال بخلود الاسطوانة فلماذا نطالب به للادمغة او القوة التي فيها. لاجرم ان ذلك ناشئ من كوننا لانعرف هذه القوة التي نعتقد بخلودها اذاً فلنحكم بان الكهربائية خالدة ايضاً لانها قوة مجهولة.

هذا ما قاله الفيلسوف بالحرف وقد احدثت تصريحاته اضطراباً شديداً في الولايات المتحدة وتطلقت الالسن في شرح اقواله في الاندية وقد صرح اديسون في خلال مقالاته ان خصومه يعثرون على تأييد مذهبه في كتاب من تأليف الدكتور طومسون اسمه «الدماغ والشخصية» الا ان مصنف هذا الكتاب قد سئل عن رأيه في هذا الشأن فأجاب جواباً لم يكن ينتظر. فقال ان آراء اديسون مخالفة للعقل فالامة التي لاتعتقد بخلود النفس يختل امرها وقد رد بعض القسيسين على اديسون في دعواه الخلود بقولهم اذا كان الانسان كما يدعي اديسون مجموع مواد مختلفة مؤلفة من الخلايا فلا يكون اديسون مخترع الفونوغراف بل مجموع خلايا فقط.

الفقراء في المانيا

نشأ عن كثرة الولادات وقلة الوفيات في المانيا ان كانت هذه الامبراطورية سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً فاصبحت الآن اربعة وستين مليوناً وتزيد الولادات عن الوفيات ثمانمائة الف في السنة ولذلك نرى الفقراء كثاراً فيها وكذلك الاشتراكيون لان معامل البلاد وصناعاتها وزراعتها لاتعول سوى اربعين مليوناً فقط ولقد يتوسل الالمان بجميع

ما لقي من الاسباب ان يتقوا من الشتاء في المدن والقرى ثم القيام به [illegible] في برلين مثلاً تخفيف شدة الغبار لئلا تنبعث [illegible] لا تدخل فيها الجراثيم الا من الغبار ويحظر رجال الشرطة [illegible] من اهل المدينة والسبب في هذا الحظر هو ان الجراثيم كلها سواء كانت [illegible] لا تخلو من شبهة وهي لا يسمح بيعها من الغبار الا اذا [illegible] في [illegible] يقتضيها التحقيق العلمي بقتل هذه الجراثيم الضارة. وهذه الرخصة والسماح ببيع [illegible] قد لا يسمح بها في البلاد الراقية ولكن الالمان [illegible] حتى [illegible] لا يطرحون شيئاً مهما [illegible] من نفاياته وبذلك ينتفع جماهير [illegible] في حياة [illegible] هناك

تعلم اللغات

اقرب طريقة لتدرس لغة من اللغات ان يسمعها الطالب من افواه اهلها او من يحسنها كالمتعلم ولما كان هذا متعذراً لكل احد من الاشخاص من لم يستطع الحظ بوجود معلم [illegible] اللغة التي يطلبونها في [illegible] اقترح احد الاميركيين [illegible] يستطيع ان يدرس ابن اميركا اللغة الفرنسوية والالمانية والاسبانية والايطالية بواسطتها مع قليل من الكتب دون ان يتكبد نفقات الاساتذة او نفقة السفر الى تلك البلاد ليدرس لغاتها

اصل التصوير الشمسي

اخترع روجر باكون سنة ١٢٩٢ م الغرفة السوداء المستعملة للتصوير الشمسي وسنة ١٥٥٦ لاحظ بعض الكيماويين تأثير النور في الفضة وقال [illegible] ومن الممكن حصول التأثير في العاج الحساس وذلك بمحلول الفضة.

والذي اخترع اكتشاف التصوير الشمسي في الحقيقة هما رجلان فرنسويان اسمهما نيبس وداكر [illegible] حكومة فرنسا جزاء نشرهما طريقتهما [illegible] الصور الفوتوغرافية محفوظة في متحف شالون سور سون في فرنسا مسقط رأس نيبس وكان داجير اول شخص رسم بالتصوير الشمسي وكذلك شريكه رسم سنة ١٨٣٩.

وظل التصوير الشمسي يترقى الى ايامنا هذه حتى اعلنوا مؤخراً اختراع طريقتين جديدتين للتصوير البارز [illegible] اختراع التصوير الملون فكذا لا ينتهي الاكتشاف والاختراع ما دام العقل البشري يعمل ويفكر

اسباب الهجرة النبوية (١)

ايها السادة

كلمتي اليكم اليوم في اسباب الهجرة النبوية ونتائجها الادبية

تعلمون ان كل مصلح قام في العالم سواء كان من الانبياء الكرام او العلماء الاعلام ناله من قومه اضطهاد ولاقت دعوته في بادئ الامر صداً واعراضاً والكتب الالهية والتواريخ الاجتماعية شاهد حق على ما نقول

ان امام المصلحين وخاتم النبيين الذي نحتفل بعيد هجرته الشريفة اليوم لاقى كذلك فوق ما يلاقيه كل مصلح للهيئة الاجتماعية وعنتٍ من اهل الحسد والبغضاء من بني عمه وغيرهم مالم يعانه نبي من قبل ومع هذا فقد كان منذ بعث الى ان هاجر صابراً على الاذى لا يفتأ يدعو قومه الى الاسلام ويعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج ويدعوهم الى دينه وحمايته من حسد قومه ليتمكن بعد المنعة من بث الدعوة ونشر دين الهدى والحق ووضع قواعد الترقي الاجتماعي على اساس مكين

لكن الذين يريدون الحقيقة لنفسها ويتبعون الحق لانه حق قليلون في البشر لاسيما في ذلك العصر وفي قوم حالهم من الجهالة معروف لذا لم تصادف دعوته قبولا الا من جماعة قليلين من قريش وغيرهم الا انه كان فيمن اتبعه من قريش نفر من وجوههم واهل المكانة والعقل فيهم مثل ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب والمهاجرين من السابقين الاولين وصناديد قريش الذين ايدوا الدعوة المحمدية ورفعوا بعد ذلك شأن الامة العربية بل شأن الشرق كله على وجه بهر انظار العالم وقلب نظام الاجتماع في كثير من انحاء الارض على ما تعلمون

كان في اسلام هؤلاء ما يكفي ان يثير غيظ قريش وغضبهم وخوفهم على اوثانهم فاشتدوا في اضطهاد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فالجأوه في نهاية الامر للهجرة الى المدينة مع ذلك النفر من المؤمنين ·

وذلك بعد ان دعا جماعة من الاوس والخزرج من سكان المدينة الى الاسلام في احد المواسم سنة عشر للبعثة وجاءه في السنة القابلة والتي بعدها جماعة منهم ببيعة قومهم فبايعوه بيعة العقبة الثالثة وقيل في الثانية واستوثق لهم منهم عمه العباس بن عبدالمطلب

---

(١) خطبة لرفيق بك العظم القاها في حفلة الاحتفال برأس السنة الهجرية في القاهرة

فأسرعوا إلى نصرته وعاهدوه على تأييده ودعوته ونصرته بالقول والعمل وعادوا بعد ذلك [illegible] هذا الأمر [illegible] نصرة الحق والحقيقة والعدل

ثم بعد ذلك كانت الهجرة إلى المدينة فأخذوا يهاجرون أرسالاً أسراباً مستخفين لا يعلم قريش ولتجنب بطش الكافر بدعوة الحق وما هي إلا وقت [illegible] من رجالات الأمة الإسلامية في فجر التاريخ عامة عمر بن الخطاب فإنه أعلن هجرته وخروجه جهراً على ملأ من جبابرة قريش أن [illegible] منه أو الوصول إليه بسوء

[illegible] بعد ذلك [illegible] حين تآمرت قريش على قتله فاتفق مع صاحبه أبي بكر على الخروج في [illegible] الليلة التي [illegible] وترك في فراشه علياً ابن عمه وخرج والقوم يرصدونه فأعمى الله أبصارهم عنه وحفظه الله بعين رعايته [illegible] من الأيام من الليالي [illegible]

وكان خروجه عليه السلام في مثل هذا اليوم [illegible] يوم الاثنين [illegible] الذي [illegible] فيه [illegible] وصاحبه من كيدهم [illegible] عليه السلام في قصة [illegible] معروفة في التاريخ

فلماذا أسباب الهجرة وما هي [illegible] الأدبية ؟

يجيب [illegible] من هذا الأسلوب القوي [illegible] ما يتطلب أحياناً إلى [illegible] [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] كان يريد حياة هؤلاء القوم [illegible] هذا [illegible] وكيف [illegible] من [illegible] هذا [illegible] ؟

أريد حياته [illegible] [illegible] ما أراد

ثم [illegible] حقيقة التي لا [illegible] في ذكرهم [illegible] [illegible] التي [illegible] في ذلك [illegible] أنهم كانوا تلك الشعوب [illegible] [illegible] لا [illegible] إلى عبادة الأوثان [illegible] من [illegible] إلى الانحراف عن [illegible] في [illegible] الوجود [illegible] الطبيعة [illegible] من العصور [illegible] كثير من الخلائق عند [illegible] عالم [illegible] وهكذا كانت حالة قريش والعرب عامة مع النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر

[illegible] قريش والعرب والناس كافة إلى [illegible] التي من [illegible]

في ذلك اليوم واستقرار الدعوة في مدينة يثرب هو مبدأ سعادة قريش انفسها وسعادة مئات الملايين من البشر ونهاية الشقاء في قسم عظيم من الارض على عبادة الاوثان وعلى سلطة الافراد من سدنة الهياكل وكهنتها سلطة لا حد لها لا على النفوس فقط بل على الضمائر والعقول ايضا اقول على الضمائر والعقول لان احتكار العلم الذي يراد به احتكار السيادة الدينية ما عرف الا بين جدران الهياكل حيث كانت تقيم طائفة من الناس تزعم انها وارثة ايزيس واوزيريس وبعل وجوبيتر واللات والعزى وما لا يعد من الالهة تسخر هذه الطائفة بما احتكرته من العلم عقول الشعب فتقوده حيث تشاء ولا تعطيه منه الا بمقدار ما يستطيع مئات الالوف من البشر ان يبنوا هيكلا للشمس او قبراً لابن الشمس مكرهين مسخرين

ان اطلال تلك الهياكل الضخمة وبقايا تلك القبور القائمة الماثلة الى اليوم تدل على ان ذلك النور الضئيل الذي كان ينبعث من وراء جدران الهياكل انما كان من اجل الهياكل لا من اجل الشعب ولا اخالني الا اذا قلت ان بعض المدنيات القديمة للامم البائدة احرى بها ان تسمى مدنيات الهياكل فقد اوقفت السدنة الذين كانوا يحجبون عن العقول نور العلم الصحيح ونور الحقيقة الالهية استعباداً للنفوس والارواح وقد اخبرتنا الكتب المقدسة واخبرنا التاريخ من الاحاديث واثار تلك الطائفة من الناس بما يغني عن طول الشرح

هذا هو السر في ان قريشاً وهي سدنة البيت الحرام الذي احست اعصابها واستشعرت الخطر في سيادتها الدينية لاول نداء جاء به النبي وهو التوحيد اي قول لا اله الا الله ولا عبودية لاحد سواه فاظهروا له العداوة والبغضاء وما زالوا به حتى الجأوه واتباعه الى الهجرة عنهم ولو علموا ان هذه الدعوة مخبوء لهم تحتها فوق ما يزعمون من السيادة الوهمية وهي سيادة العلم والمدنية والسلطان العظيم في الارض بما سيكون اليهم من ميراث الامم لما عادوا معه ما عادوه ولكن اكثر الناس اعداء ما جهلوه

وهكذا كان الحال فقد كانت هجرته الشريفة خيراً لقريش والعرب والانسانية جمعاء اذ تمكن بعد انتصاره بالانصار من جمع كلمة العرب ووضع قواعد شريعته الغراء التي فكت قيود حرية الفكر البشري وفتحت للعقل مجال النظر في الكائنات فجعلت العلم مشاعاً بين بني الانسان من كل الطبقات فحدت بعامة الناس الى تعلم العلم وتعلم اللغات والاستفادة من عجائب الكون واسرار الطبيعة وجعلت قاعدة التفاضل بين المسلمين التقوى والعلم فلا يفضل عالم جاهلا الا بعلمه ولا يفضل تقي شقيا الا بعمله

فكان من هذا نذير عظيم التبدل العتيد لشكل المدنية القديم، والعلم الناقص انتفض له جسم الانسانية الجامد تحت ضغط الخرافات الوثنية التي شابت بها علوم الاقدمين وانبسطت النفوس الى تناول حقها الطبيعي من هذا الوجود بما قرره الاسلام من مبادئ الاشتراكية العامة الصحيحة التي منشاها ان العقل رأس مال كل فرد ومن حق كل فرد ان يتناول من العلم ما استطاع ليتساوى مع اخيه في الاشتراك بمرافق الحياة

وهذا هو السر في ان المدنية العربية كانت ارقى مدنية سبقتها وان العرب بلغوا في قرنين ما لم يبلغه غيرهم في قرون وكانوا اسرع الامم سيراً في سبيل المدنية وتبسطاً في الحضارة فما لبثوا بفضل الاسلام جيلاً بعد جيل آخر حتى نشروا سيادتهم ودينهم ولغتهم في احسن اجزاء المعمور وما توطدت لهم دعائم الملك في عهد الدولتين دولة الخلفاء الراشدين ودولة الامويين وقبضوا على زمام السيادة السياسية في معظم الممالك المتمدنة صرفوا عنايتهم للاخذ بأزمة السيادة العلمية فلم يكفهم ما كتبوه واشتغلوا به من علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ وسائر فنون العربية بل اهتموا بترجمة كتب اليونان في الفلسفة والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة وغيرها فكان اهتمام عامتهم بنقل هذه العلوم الى اللغة العربية كاهتمام خاصتهم وخلفائهم ووزرائهم فكما كان الخليفة المأمون يعطي حنين بن اسحق المترجم عن كل كتاب ينقله الى العربية زنته ذهباً مثلاً بمثل كان بنو موسى بن شاكر المهندسون وهم من عامة الشعب يعطونه كل شهر خمسمائة دينار من اجل الترجمة هذا فضلا عما كانوا ينفقونه من الاموال في الكتب التي كانوا ينفذون في طلبها من بلاد الروم والاصقاع البعيدة بالثمن الباهظ

وكما كان كذلك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير ينفق على المترجمين من ماله الخاص نحو الفي دينار في الشهر وكثيرون غير هؤلاء من الخلفاء والوزراء والعلماء من كانوا ينفقون على استحضار كتب العلم وترجمتها

لم يقف بهم الامر عند هذا الحد من تعلم العلم وتعليمه ونشره عملا بأوامر صاحب الشريعة وواضع اساس المدنية الصحيحة عليه الصلاة والسلام بل عمدوا الى تأسيس المدارس فأنشأ العباسيون اول كلية جامعة في بغداد في عهد الرشيد والمأمون سميت دار الحكمة وكانت تدرس فيها سائر العلوم الحكمية كالفلسفة والطب والكيمياء والهندسة والفلك وغيرها ثم المدرسة النظامية ثم المستنصرية في بغداد ايضاً وحذا حذوهم في ذلك الامويون في الاندلس والفاطميون في مصر حتى وصلوا سلسلة المدنية المنقطعة منذ سقوط

دولة الرومان خالية من المدنية العربية كان لها الفضل العظيم في العالم المتمدن لهذا العهد لانها كانت الصلة المتممة لترقي الانسان وترقي المدنية بما مهدته لعلماء اوربا من سبل المدنية الحديثة

عجيب امر هذه الامة ايها السادة وقد يكاد يظن القارئ لاخبارها ان رقيها السريع من الخوارق وما هو كذلك بل هو نتيجة الافراج عن العلم واخراجه من بين اسوار الهياكل وجعله مشاعاً مشتركاً بين الناس يتناول عقل كل فرد نصيبه منه وحقه ان يتناول ذلك ماء [illegible] من ثمرات العقل

عرف المسلمون في ابان مجدهم ومدنيتهم هذه القاعدة وحرصوا على مبدإ الاشتراكية العلمية فلكي لا يكون العلم محتكراً لطائفة او قاصراً على فريق دون فريق تفننوا في انشاء المدارس المتنوعة بتنوع المذاهب والعلوم تنافساً لم تعرفه امة من قبل فجعلوا مدارس لتلقي علم الحديث سموها دور الحديث ومدارس لفروع الشريعة على عدد المذاهب فمدارس الشافعية غير مدارس الحنفية ومدارس المالكية غير مدارس الحنابلة ثم مدارس الحكمة التي يدرس فيها الطب والفلسفة والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم الحكمية وكانت اكثر هذه المدارس داخلية ذات غرف يأوي اليها الطلبة ولم يكن التعليم فيها مجاناً فقط بل كان للطلبة فوق ذلك جرايات ومرتبات تغنيهم عن العمل لغير العلم

ومن ادلة تفاني هذه الامة في انشاء امثال هذه المدارس كتاب خطي موجود في مكتبتي اليوم في نحو الف صفحة وهو خاص بمدارس دمشق وحدها من القرن الخامس الى التاسع وفيه تاريخ مائتي مدرسة او تزيد على ذلك منها ثلاث مدارس طبية انشئت في عصر واحد في مدينة واحدة من المدن الكبرى الاسلامية فما ظنكم ايها السادة بغيرها من المدائن الشهيرة التي كانت مراكز الحضارة الاسلامية كحلب والموصل وبغداد وسمرقند والقاهرة وتونس ومراكش وطليطلة واشبيلية وغرناطة وغيرها من المدن الشهيرة التي كانت تفيض انوار العلم والمدنية على الشرق والغرب

اما تأثير هذه المدارس وعلوم العرب وآدابهم التي كانت تدرس فيها في اهل الغرب وعلوم المدنية الحديثة فلا يتسع لذكره هذا المقام ويكفي فيه شهادة علماء الافرنج انفسهم فاذا سمحتم لي تلوت عليكم شيئاً من شهادة عالم محقق كبير من علماء اوربا فيما للعرب من الفضل على المدنية وهو العلامة سديو صاحب تاريخ العرب

قال هذا المصنف المحقق في مقدمة كتابه المذكور بعد ان اثنى على اخلاق نبينا وعمله الجليل في جمع كلمة العرب:

«واما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الاموية في دمشق وقرطبة والعباسية في في بغداد والفاطمية في مصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية التي اغار عليها المغول فدونها الافرنج تدويناً حسناً واضافوا اليها ما تركوه من اصولها وهو وصف المدنية العربية التي تمكنت اصولها في اعماق الدنيا القديمة فوق تمكن ولا نزال الى الآن نرى آثاره. فمن بحث عن مستند مادي وجد ما نحن عليه من المعارف الاوروبية فان العرب في بداية القرن الثامن من الميلاد تركوا اصطلاحاتهم الحربية وشغلوا بنيل المعارف حتى احدثت لها قبيل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقة واصفهان وسمرقند تفاخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرئ ما ترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همتهم في الاشتغال بجميع ما تكونه الاقاليم البشرية من العلوم والفنون . وشهروا في غالب البلاد خصوصاً البلاد الغربية من اوربا ابتكارات تدل على انهم ائمتنا في المعارف

ولنا شاهداً صدق على علو شأنهم الذي يجهله الافرنج من الزمن مدة طويلة الاول ما اثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة واخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة والرجال والمجاميع المشتملة لكثير من الفنون الفاخرة . والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفائقة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء الحقيقية والفلاحة والعلوم الصحيحة التي دارسوها بغاية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد اي من القرن الثالث الى القرن العاشر الهجري»

الى ان قال بعد مناقشة بعض علماء الافرنج الذين قالوا ان الهنود والصينيين اخذوا من العرب :

«واما المدرسة البغدادية المدونة للعلوم النقلية في الفترة التي بين عصر يونان الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ اهل اوربا من رقدة الجهالة ونشر انوار المعارف في جميع ممالك آسيا»

وبعد ان ذكر كيفية انتقال العلوم من العرب او بواسطتهم الى ممالك آسيا . الصين . والهند . والتركستان وغيرها قال :

«ثم اطلع اهل الغرب من اوربا على اسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية المدنية واللغة العربية ودونوا الادبية التي تحدث كل يوم

في زيادة الانتشار بين الافرنج وما زلنا الى الآن نستكشف اموراً مهمة (يريد من القضايا العلمية) من الكتب العربية القديمة وان عزي ابتكارها زوراً الى بعض المتأخرين من الافرنج»

هذه شهادة عالم اجنبي عن اوطاننا ولغتنا وديننا تشهد ان المدنية العربية وآدابها عمت مناطق الشرق والغرب وان العرب كانوا اساتذة العالم بلا نزاع وبالتالي كان لهم الفضل على العالم اجمع وقد شهد كثير من علماء اوربا ومحققيها مثل هذه الشهادة كالعالم دساسي والعالم دربي والعالم كوستاف لبون وغيرهم ولمن كان الفضل في هذا كله؟ كان لصاحب الشريعة الاسلامية الذي نحتفل بعيد هجرته اليوم ولأمته النجيبة التي خدمت العلم والمدنية والانسانية جمعاء خدمة لاينكرها الا الغواة الجاهلون الذين في قلوبهم مرض وعلى ابصارهم غشاوة فهم لايبصرون

فسلام على يثرب وسلام على ساكنها العظيم وسلام على امته النجيبة وعليكم اجمعين

رأس السنة الهجرية[1]

هل الهلال فحيوا طالع العيد   حيوا البشير بتحقيق المواعيد
يا حرف شك مبلغنا على ثقة   وقد عقدنا المنى في نون توكيد
كأن حسنك هذا وهو رائعنا   حسن لبكر من الاقمار مولود
لله في الخلق آيات وأعجبها   تجديد روعتها في كل تجديد

***

فتيان مصر وما ادعو بدعوتكم   سوى محيين احرار مناجيد
سوى الأعزة من علم ومن ادب   مؤملين لفضل غير مجحود
المنشر شعار المهتدين به   العاملين بعزم منه مقصود
في العز رمز لبقيات يجدده   وفي النهى رمز حد غير محدود
ما زال من مبدأ الدنيا يثبتنا   ان التمام بسعاة ومجهود
فان تسيروا الى الغايات سيرته   الى الكمال فقد فزتم بمنشود

***

---

(١) خليل افندي مطران من كبار شعراء سورية نزلاء مصر قالها في رأس هذه السنة الهجرية والاحتفال بها

اليوم عيد به معنى السرور لكم … ولم يكن بدؤه يوماً لتعييد
رسالة الله لا تنهى بلا نصب … بشق الامين وتعذيب وتنكيد
رسالة الله لو حلت على جبل … لاندك منها واضحى بطن اخدود
ولم يحملها حر لب لظى … بوجد والاهوال فيه كل جلمود
قلبي بدا اذا ناداه الصبي بها … وانت سبح الى منهيا وتنهيد
يدوي الترحل عن اهل وعن وطن … جهراً عليه بقلب منه مكمود
يكاد يمكث لولا ان تداركه … امر الاله لامر منه موعود

***

قاد علاة القوم في ايذائه حنقاً … وشردوا تابعيه كل تشريد
دعا الموالين ارماكاً بحربه … لم يحمه سوى الرهط الصناديد
علي هو الحامي والصديق صاحبه … قابل الحزن في غراء مجهود
مولياً وجهه شطر المدينة في … ليل اغر على الادهار مشهود
حتى اذا اتخذ الغار الامين حمى … ونام بين صفاء ثم محمود
حنا عليه فما مثواه منه سوى … مثوى الحبيب من البكرية الرود
بالعقيدة والصديق في سهر … تؤذيه انثى ويبكي غير مجهود
ان العقيدة ان صحت وزلزلها … مثل القوى فهي حصن غير مهدود
اما الذين بقوا من صحبه فغدوا … سائرين في كل مسرى غير مرصود
ما جند قيصر وكسرى اذا التقوا … كهؤلاء الاعزاء المطاريد
كأنهم في الدجى والنجم شاهدهم … فرسان رؤيا لشأن غير معهود
في حيطة الله ما شدت اسنتهم … فوق الظلال على المهرية القود

***

عانى محمد ما عانى بهجرته … للحرب في سبيل الله محمود
وكم غزاة وكم حرب تجشمها … حتى يعود بتمكين وتأييد
كذا الحياة جهاد والجهاد على … قدر الحياة ومن فادى بها يودي
ادنى الكفاح كفاح المرء عن سنة … لا مستفاد بعمر رهن تحديد
وصل زام سوة لا اصطلاح له … والمجد اذ قال من يغلو فقد عودي
ليعلم العيش طلقاً كل مقتحم … ويبتغي في الارض شأناً كل رعديد

ومن عدا الاجل المحتوم مطلبه   عدا الفناء بذكر غير ملحود

***

لقد علمتم وما مثلي بمنبئكم   لكن صوتي فيكم صوت ترديد
ما انجبت هجرة الهادي لامته   من صالحات اعدتها لتخليد
وسودتها على الدنيا باجمعها   طوال ما خفقت فيها تسويد
بدا وللشرك اتباع توطده   في كل مسرح باد كل توطيد
والجاهليون لا يرضون خالقهم   الا كمعبدهم في شكل معبود
مؤلهون عليهم من صنائعهم   بعض المعادن او بعض الجلاميد
مستكبرون اباة الضيم عن حمق   ثقال بطش لدان كالأماليد
لا يبرح الرأي منهم في تمزقهم   الا منازل تشتيت وتبديد
ولا يضم دماء من اوابدهم   الا كما صيح في عفر الابيد
ولا يطيقون حكماً غير ما عقدوا   لدى لواء على الاهواء معقود
ياحب حلم سيد الجهل مرهقه   واي عزم مذل القادة الصيد
اعاد ذاك الفتى الأمي امته   شملاً جميعاً من الغر الاماجيد
فتلك آية الفرقان في عجب   بل آية الحق اذ يوحي بتأكيد
صعبان راضهما توحيد مشعرهم   واخذهم بعد اشراك بتوحيد
وزاد في الارض تمهيداً لدعوته   تهديده المتجبرين والحسود
وبدئه الحكم بالشورى يتم به   ماشاءه الله عن عدل وعن جود
هذا هو الحق والاجماع ايده   فمن يفنده اولى بتفنيد
اي مسلمي مصر دين الجد دينكم   وبئس ماقبل شعب غير مجدود
طال التقاعس والاعوام ماضية   والعام ليس اذا ولى بمردود
هبوا الى عمل يجدي البلاد فما   يفيدها قائل يا امتي سودي
سعياً وحزماً فود العدل ودكم   وان رأى العدل قوم غير مودود
لا تتعبوا لا تملوا ان غايتكم   الى غدير من الاقوام مورود
تعلموا كل علم وانبغوا وحدوا   بكل خلق نبيه اخذ تشديد
فكوا العقول من التصفيد تنطلقوا   وما تبالون اقداماً بتصفيد
مصر الفؤاد فان تنموا سلامتها   فالشرق ليث وقد صحت بفود

الشرق اصبح من الدنيا بلا عمل   سوى الشكاة مما يضني ومايودي
والغرب يرقى وما بالشرق من همم   سوى التفات الى الماضي وتعديد
تشكو الحضارة من جسم اشل به   شطر يمد وشطر غير ممدود

***

ابناء مصر عليكم واجب جلل   ابعث مجد قديم العهد مفقود
فان جمع الشرق مرفوع اللواء بكم   ولتزه مصر بكم مرفوعة الجيد
ما اجمل السعد اذ يأتي وأربعه   حقيقة الآمال وذكرى التمجيد
والشرق والغرب معاً اذ قد علموا   من حاسد كائد كيداً لمحسود
صنوان راح في عز وفي عمل   حران من كل تقييد وتقليد
لا فضل يحظى به الخير بعضهما   الا تداركه الثاني بتسديد
ولا خصومة الا في استباقهما   لما يعود بنفع كل موجود

...

هذي الثمار التي يرجو الانام لها   من روضكم كل ناء ناضر العود
لمصر والشرق بل للخافقين معاً   دع زعم كل عدو الحق مريد
جوزيتم من بركات الله عليكم   فقد تبدل منحوس بمسعود
رجاؤكم ابداً بين النفوس فما   انى بمحق ولا يرمى بتهديد
بدا الفلاح وفي هذا الهلال لكم   بشرى الثمار لوقت غير معدود
غدا ترى البدر في طرس السما بها   محا النور ظلمات الدجى السود

الصيد في انكلترا

لا يخفى ما في الصيد من المنافع الاقتصادية فان بعض الاقطار تتوقف حياتها على الاكثار منه فان في انكلترا مثلاً ٤٥٦ سرب كلاب وتكلف النفقة في كل واحد منها ٢٥ الف فرنك في السنة ويقدر ما يصطادون من المرات في الاسبوع . فاذا صادوا اربع مرات في الاسبوع مثلاً يكلف في السنة ١٠٠ الف فرنك كل سرب من الكلاب ومجموع ما تنفقه انكلترا على كلابها ١١٢٥٠٠٠٠ فرنك ويلزمها ٨ آلاف حصان للصيد وثمن كل واحد منها تعدل الفاً وخمسمائة فرنك فمجموع قيمتها اذاً اثنا عشر مليون فرنك وتكلف نفقة كل حصان في السنة الف فرنك اي ثمانية ملايين فرنك من حيث المجموع ويقدرون ما يأتي من ارباح الصيد في انكلترا لتجار ارباب المزارع وبرها

نحو من مليون فرنك يستفيد منها الفلاحون وتجار الخيل والسياس والسروجيون والخياطون وسكك الحديد والحوذيون وارباب الفنادق والقصابون والحراس وغيرهم واذا بطل الصيد يفقد هؤلاء ملايين من الفرنكات يقضون بها لقوام حياتهم

طلبة السوريين

بلغ عدد طلاب سورية الذين يطلبون العلوم المختلفة في مدارس اوربا ولاسيما في فرنسا خمسين طالباً اكثرهم من دمشق وبيروت

تبدل الاهوية

لايزال الشيوخ في بلاد الشام يذكرون ان الامطار والثلوج كانت تتصل سلسلتها منذ خمسين عاماً اياماً وليالي تمنع الناس عن الخروج في الاسواق في المدن والفلاحين عن تعهد حقولهم وحدائقهم في القرى مدة طويلة وقد بطل ذلك اليوم فتبدلت تلك الثلوج والامطار الغزيرة ببرد وجليد يدوم اسابيع فيهلك الزرع والضرع كما حدث في الشهر الماضي فدام الجليد المضني زهاء شهر ونزلت درجة الحرارة الى سبعة تحت الصفر في المحال المعتدلة كدمشق مثلاً وذلك بالميزان المئوي وهلك نحو ثلث الماشية في بعض انحاء سورية لقلة المراعي وتضررت المزروعات الشتوية والاشجار المثمرة بالجليد المتصل وقلة الامطار المنعشة واذا دام الحال في احتطاب الغابات على هذا المنوال تصبح سورية جرداء مرداء على ماورد في مبحث غابات سورية من هذا الجزء . وهناك الضرر العظيم في قلة المياه في الصيف فتجف الجداول والانهار وتصبح اكثر الاصقاع الخصبة قاحلة كل هذا والحكام غافلون او متغافلون والسكان جاهلون او متجاهلون

شجرة الماء

يبحث بعض العلماء في اميركا هذه الآونة في شجرة الماء التي يكثر وجودها في الاصقاع القطبية من اميركا وذكرها كثيرون من ارباب الرحلات في سياحتهم وهي شجر كالصبار يحتوي جذعه كمية مهمة من الماء الذي يشرب واسم هذه الاشجار شجرة البيزناكا وفيها عصير مائي بكثرة ويستخرج الماء منها باداة حادة من مدية او فأس تقطع بها رأس الشجرة واذا لم يجد السائح اداة قاطعة يكسر الاشواك منها ثم يحطم رأسها بحجر كبير وبهذا ترتفع قامة مثلها من ٥ الى ٢٠ سنتمتراً فينزع لبها فيبقى في شكل يحوي نحو عشرة ليترات من الماء فيحفرون اللب باليدين فيخرج منه سائل لذيذ يروي الظمأ وهو ارق

من الهواء . وفي كل صبارة لتر الى ثلاثة لترات من الماء ويتخذ هنود المكسيك من هذا الشجر مايروون به ظمأهم بعض اشهر السنة ويفضلون ماءها على كل ماء ويستعملونه لطبخ البط وغيره من الطيور التي يصيدونها في تنقلاتهم . ومن هذا الشجر نوع آخر صبار كروي له مثل خاصية الشجر المتقدم ذكره ولكن يمازج ماءه شيء من المواد المرة . قالت المجلة التي ننقل عنها وقد دلت التجارب ان السياح لو كان معهم انبيق او آلة للتقطير لما صادفوا في سبيلهم صعوبة في اختيار الماء الجيد وقد صنع احدهم آلة تحمل مع السائح تفي بهذا الغرض فيقطر بها في الحال من ثلاثين الى اربعين لتراً من الماء المقطر السالم من مضار الماء الملوث في مثل هذه الواحات

هجرة الاوربيين

الظاهر ان قد اكتفت الولايات المتحدة الاميركية بمن نزلها من الاوربيين مهاجرين اليها منذ قرن اذ قد خف معدل قاصديها من الممالك الاوربية . فقد كان عدد من هاجر اليها من النمسا والمجر سنة ١٩٠٧ — ٣٠٠ الف فاصبح سنة ١٩٠٩ — ١٧٠ الفاً وكان عدد المهاجرين من ايطاليا ٢٨٥ الفاً تلك السنة فنزل الى ١٨٣ الفاً وكان المهاجرون الروسيون ٢٥٨ الفاً فتناقص الى ١٢٠ الفاً والانكليز من ٥٦ الفاً الى ٣٢ والفرنسيس من ٩٧٠٠ الى ٦٧٠٠ وسكان جنوبي اوربا يقصدون في الغالب الجمهورية الفضية في جنوبي اميركا ففي تلك الجمهورية نصف مليون من الاسبانيول وثلثمائة الف من الطليان في حين ان سكانها لا يتجاوزون السبعة ملايين منهم خمسة ملايين من الاهالي الاصليين

مدرسة الفنادق

عزمت باريز ان تنشئ فيها مدرسة لتعليم ارباب الفنادق وليست باريز هي التي ابتكرت هذا الفكر بل سبقتها اليه سويسرا والمانيا وايطاليا يعلمونهم كيف يتلقون السائحين والنازلين ويستخدمون معدات الراحة والطعام وفيها ايضاً دروس التجارة ومحاسبة يدرسها كل سامع فيتعلم فيها الطلبة فن سرعة الاستقبال والحساب والجغرافيا الوصفية وبعد دراسة ثمانية اشهر يلحقون ما تعلموه بالعمل في الفصل تحت نظارة العارفين والاساتذة

السلاح الازرق

اخترعوا سلاحاً من نسيج السلاسل الحديد اشبه بدروع معدنية ذات حلق مسرودة

يمد في ارض الغرفة التي يراد تدفئة ارجل الجالس فيها خصوصاً الزوار الذين يدخلون مخادع الضيوف وارجلهم ترتجف من البرد . وهذا البساط يمس المجرى الكهربائي بواسطة آلات التنوير او الجرس الكهربائي . وهذه الآلة مغشاة بنسيج ملطف يمنع المعدن عما يضره . ونفقة هذا البساط في الساعة لاتتجاوز الخمسة سنتيمات . وهكذا لم يكتف اهل الغرب بما لديهم من ادوات الدفء من المواقد المتنوعة وبعضها بالكهرباء واخرى بالغاز وبعضها بالبترول واخرى بالفحم الحجري او بالحطب بل رأوا ان تدفأ الارجل ايضاً في الحال وما ندري ماذا يهديهم اليه البحث بعد ذلك الرفاهية والراحة

المعارف في يابان

بلغ عدد المدارس الابتدائية في يابان ٢٨ الف مدرسة وعدد مدارس المعلمين للقسم الابتدائي ٦٤ وعدد المدارس الثانوية ٢٧٠ و٣ مدارس عالية لتخريج معلمي المدارس الابتدائية والثانوية و٨ مدارس عالية للطلبة الذين لايريدون الدخول الى كليتي طوكيو وكيوتو اللتين تحتويان على ١٣ مدرسة عالية . هذا عدا ٤٩ مدرسة عالية تجارية والحربية والطب والصناعات المختلفة . وعدد المدرسين في هذه المدارس كلها ١٢٥ الف مدرس وعدد الطلبة ٥،٥٦٥،٤٩٥ طالباً) منهم ٥،١٤٤،٦٠٠ في المدارس الابتدائية الاجبارية . ولا يعلم الدين في مدارس الحكومة

تدبير الغذاء

الصحة هي النعمة الاولى التي يجب المحافظة عليها ولاسبيل الى ذلك الا بالتدقيق في تدبيرها بالاغذية المقبولة والسير في العمل والراحة على ما يقتضيه تركيبنا وما خص به الخالق بني البشر من القوى الطبيعية والعقلية . فنحن لانحسن استنشاق الهواء ولا السير على الاقدام ولا الخلود الى الراحة ونهمل امر عضلاتنا وننسى استعمال اعضائنا فنفتح بصنيعنا الباب الى الجراثيم القذرة تهاجمنا وتحيط بنا خصوصاً وهي مستعدة الى التسرب على الدوام الى خلايانا لتعشش بها وتعيش . ولكن اذا احسنا الغذاء والعمل والراحة والنزهة والنوم وكانت لنا ارادة قوية يكون لنا من الصحة ما نتغلب به في معترك هذه الحياة الاجتماعية

فقد قال الحكيم اليوناني : اعرف نفسك فاذا عرفت نفسك وعرفت مزاجك تضع لها تدبيراً صحياً من الغذاء والرياضة ينفعها . ومعلوم ان امزجة الناس اربعة المزاج الدموي

او البلغمي. فالمزاج الدموي والمزاج العصبي والمزاج الصفراوي. ومن النادر ان يخرج الانسان عن احد هذه الامزجة الاربعة بل يكون مزاجه مؤلفاً من اثنين او ثلاثة منها ويكون احدها متغلباً على الآخر وهذا هو الذي تجب مراعاته في تدبير الغذاء والاعمال. والجهل بالمادة الغذائية من كل طعام من الامور التي لا تغتفر ومعرفتها اهم في قوام البنية مما يتوهم بعض العامة وذلك من الوجهتين الصحية والمالية .

وبما ان المعدة لا تبيت الا وقود الاطعمة وعملها الكيماوي مع استنشاق الهواء يحدث الحرارة اللازمة لبقاء الجسم وتحويل ما يدخل فيه وما يخرج منه بقدر ما يتناوله من الغذاء . وقد حسب علماء منافع الاطعمة هذه الحرارة بحساب الكالوري انهم يقدرون معدل ما يلزم الرجل البالغ اشده من ٢٨٠٠ الى ٣٠٠٠ من الكالوري او قياس الحرارة . واليك الآن كميات الكالوري التي تتولد من الطعام الاكثر استعمالاً وهي مقدرة بمئة غرام اي انك اذا تناولت ١٠٠ غرام من السمك تحصل ١١٣ من الكالوري : وفي السلطة ١٢ من الكالوري وفي الملفوف ٢٧ وفي الثمار اليابسة ٣١ وفي البقول المقشرة ٣٧ وفي اللبن الحليب ٦٢ وفي البطاطا ٨٣ وفي اللحم ٩٤ وفي البيض ١٥٣ وفي الخبز ٢٥٥ وفي الارز ٣٤٥ وفي البقول اليابسة ٣٦٣ وفي السكر ٣٨٠ وفي الشوكولاتا ٤١٥ وفي الجبن ٤٦٦ وفي الزبدة ٧٥١ .

فلك ان تحصل على ٢٨٠٠ من الكالوري اذا تناولت ٦٠٠ غرام من الخبز او المعجنات يكون منها (١٥٣٠) من الكالوري و٢٨٠ غراماً من اللحم منها ٣٦٣ و٥٠ غراماً من السمك و٣٠ من البيض و٢٠٠ من البقول الطرية و٥٠ من البطاطا و٤٠ من البقول الشتوية و٢٠ من الثمار و٣٠ من الزبدة و١٠ من الجبن و٢٠ من السكر الخ اي نحو كيلوغرامين من الغذاء كل يوم وهو ما يلزم المرء في الاربع والعشرين ساعة

ويستثنى من هذا التدبير من يعمل وهو جالس فان تناول هذا القدر ضار به بل يلزمه ٣٥٠ غراماً من الخبز و١٥٠ من اللحم و١٠٠ من البقول الطرية و٢٠٠ من البطاطا و٢٥٠ من اللبن و٦٠ من السكر و٢٥ من الزبدة و١٥ من الارز و١٠٠ من الثمار اي ما يكون منه ٢١٠٠ كالوري وعلى العكس فمن يعمل الاعمال التي تحتاج الى اتعاب الجسم فانه يحتاج ان يرفع درجة الكالوري من ٣٢٠٠ الى ٣٦٠٠ لا بزيادة ما يتناوله من اللحم فانه لا يحصل منه سوى عشرة في المئة مما يحتاجه القوام يومياً من الدهن والكربون والازوت بل بتناول الخبز والارز والبيض واللوبياء والعدس والفواكه والسكر وفيها ٢٣ في المئة مما

يجب لنا ٠ وان كيلو غراماً واحداً من البقول كالباقلاء واللوبياء والعدس والحمص تساوي ثلاث ليرات ونصفاً من اللحم والبيرة خمسمائة غرام

ويحتوي الخبز واللبن والبيض على جميع المواد اللازمة للتغذية فهي غذاء تام ثم يجيء الارز واللحم على اختلاف انواعه والبقول الطرية وهي اقل في التغذية من الاصناف الثلاثة الاول والسكر غذاء العامل ومولد القوة والمعوض عما فقده الجسم من التعب . والسمك نافع في التغذية لما فيه من الفوسفور والفسفور داخل في تركيب بنية اعصابنا فمن كانت اشغالهم عقلية اومن كانوا في سن الطفولة من الاولاد ينبغي لهم ان يتناولوا من السمك اكثر من غيرهم ليساعد ذلك على نموهم . ويقول الدكتور متشنكوف الشهير ان من يشرب مصل الحليب كل يوم يطول عمره ولا يهرم بالشيخوخة لان فيه باشلساً اوجراثيم صغيرة تهلك الجراثيم المضرة التي يعيش منها ملايين في الاحشاء

والحرشف (الارضي شوكي) تكثر فيه المادة القابضة وهو مقو يمنع الاسهال ومدر للبول . والقنبيط صعب الهضم لاصحاب المعد الضعيفة . والباذنجان ملين للبطن ويسميه الافرنج مكنسة الاحشاء ومن خصائصه هو والكراث انهما يصفيان اللون . والبقلة الحامضة (الحميض) تسهل الهضم ومن كان فيهم استعداد لمرض الحصاة ينبغي لهم الامتناع عنها بالكلية . والبندورة مقبلة ومرطبة وعلى المصابين بالنقرس والحصاة والرثية (داء المفاصل) ان يمتنعوا عن تناولها . والكرفس الني عسر الهضم والاخذ منه باعتدال يقوي من ضعفت اعصابهم واذا تناول منه المصاب بالنقرس يكون له كالتوابل اللطيفة . والهليون مدر للبول ويجب تناوله طرياً . والبطاطا نافعة لارباب المعد القوية وارباب المعد المتعبة ينبغي لهم تناولها مهروسة . والخس مرطب ونافع لالتهاب الاحشاء وامراض الكلى . والبقدونس مقو مهيج معرق مدر للبول قاتل للديدان دافع للحمى يقوي الشهوة للطعام ويسهل الهضم . واياك ان تسلق البقول بالماء الغالي جداً لئلا تفقد املاحها وموادها الازوتية المركبة منها وفي التوت الافرنجي (الفريز) كمية من حامض الساليسيليك ينفع المصابين بضعف المجموع العصبي وداء المفاصل . ومنقوع التوت الافرنجي من احسن المقويات للاعصاب وهو من اجود مايكون لمن انهكتهم الاشغال العقلية . والتوت الشوكي كالتوت الافرنجي وهو ايسر على الهضم . والكرز نافع للمصابين بالسوداء (هيبوكندريا) ومقاوم للرثية . والخوخ نافع للمصابين بالبول السكري وللمصابين بقروح في المعدة . والتفاح نافع في تشنج الاعصاب ومعرق . ويكثر في التين الاصل المهضم (اليسين

pepsine أو هو نافع للمصدورين · والاجاص تغلب فيه البرودة ويضر بمعتل المعدة · والليمون يقي من الحمى واذا اضيف الى القهوة نفع كما تنفع الكينا وهو احسن علاج لفساد الدم · والبرتقال اخف الفواكه على المعدة · والموز اليابس مغذ جداً وهو غذاء طبيعي نادر المثال · ويرى الدكتور اوندرهيل ان العنب يؤكل وحده اذا كانت صحة المرء حسنة فاذا كان في البطن اطلاق يؤخذ العنب مع القشر ويطرح البزر واذا كانت المعدة منقبضة ويراد به تسهيل الطبيعة يتناول العنب والبزر ويطرح القشر وبهذه الواسطة يكون العنب دواء وفاكهة لا نظير لها ·

والقهوة تورث الجسم قوة فهي من مضادات السموم ومقوية للقلب والشاي في الصباح يقوي ويورث نشاطاً ويسهل التنفس واذا شرب بعد المشي او عمل متعب يورث راحة سريعة وينبه النشاط والافكار · وارباب الامزجة اللمفية يتطلبون مواد مقوية تصلح اجسامهم فعليهم بلحم البقر والغنم ولحوم الارانب والحمل والتدرج (الديك البري) وان يتناولوا الخبز محمصاً بكمية وافرة ولا سيما صفار البيض ويقللون من المواد النشائية وتقصر بهم الاطعمة الناضجة والحمص والهندباء والسبانخ والخرشوف وجميع البقول المرطبة والمسهلة ·

وعلى ارباب الامزجة الدموية ان يعتدلوا في مآكلهم ويتقشفوا بحيث لا يزيدون الكريات الحمراء في دمهم ويتناولون من اللحوم لحم العجل والفراخ والارانب والسمك ويكثرون من البقول والثمار الفجة وتضرهم القهوة الخفيفة ويمتنعون عن الابازير والتوابل وكل ما يورث الحرارة في الجسم واذا كانوا مستعدين للعرق فالاولى ان لا يأتوا عملاً من شأنه منعه ·

وعلى ارباب الامزجة العصبية ان يستعملوا المواد المغذية اللذيذة لمذاقهم مثل البيض والفراخ واللبن المطبوخ واسماك الانهار ويمتنعوا عن المهيجات مثل القهوة والشاي وغيرها والخس والكرفس من البقول لما كان في عصير الخس مسكناً للاعصاب وفي الكرفس الذي يقلل من الاضطرابات ويقوي الاعصاب وربما نفع لضربات القلب · وعليهم ان يقللوا من تناول الطعام اي يعتدلون جداً ولا يأخذون الا ما يوافق اذواقهم من الطعام بلذة ·

وعلى ارباب الامزجة الصفراوية ان يفضلوا الاطعمة البسيطة ويمتنعوا عن المواد الدهنية والنشائية ويتناولوا من البقول الارز ولا يتناولون القهوة · والثمار الناضجة اللذيذة توافق امزجتهم · والخس والبندورة تنفعان لهم والبندورة محسنة الكبد ·

والاجدر بسكان البلاد الحارة ان يكثروا من البقول وبسكان البلاد الباردة ان يكثروا من اللحوم والمواد الدسمة نافعة لهم ايضاً ·

والخبز الطري غير نافع للصحة لانه لايجود علكه فيعسر على المعدة هضمه وربما احدث مع الزمن اضطراباً في الدورة الدموية او اوجاعاً في الرأس وآلاماً في المعدة وسوء هضم . والخبز المحمص الذي يتناوله بعضهم في الصباح وعليه شيء من الزبدة غير نافع .

ومن المشهيات للطعام الثريد البارد الخالي من الدهن يتناوله قبل الاكل بساعة فيكثر به سيلان اللعاب في المعدة فيستدعي الطعام ورأى بعض العلماء ان احسن مقبل مايعمل من منقوع مختص من بزر الجزر في نصف كوب من الماء الغالي يؤخذ بين الطعام والطعام محلى بالعسل يجود الهضم وتزيد الشهوة للطعام

ولاضطراب الهضم معك خير دواء سريع قريب ان تشرب شراباً حاراً . فقد قالت احدى المجلات الطبية ان من خصائص المشروبات الحارة ان تسكن الغشاء الباطني في المعدة وتعدل احياناً التأثيرات المؤلمة التي يشعر بها بعد الاكل فهي تقوي الوظائف المعدية والظاهر ان اليابانيين بلغوا ما بلغوه من الصبر وجودة الصحة باستعمالهم الاشربة الحارة لانهم يتناولون في كل المواسم ماء حاراً او شراباً حاراً ويقولون ان الماء البارد يشد الاطراف والرباط (قص الكبد) والرئة ويحدث السعال ويطفئ الحرارة الطبيعية التي تديم الحياة

وعليك ياهذا ان تنظم اوقات طعامك فبذلك يسهل على الخواص ان تأخذ حظها من الطعام والهضم وتعمل عملها وتستعد لقبول غيره اذا وقت لها وقتاً وعليك ان لاتسرع في هضم طعامك وقضمه بل ان تمضغ كثيراً حتى لاتضطر المعدة ان تعمل ما كان من شأن اسنانك ان تعمله من طحن الطعام . ومن الضروري ان تقلب اضراسك على اللقمة عشرين مرة وكل طعام علكته جيداً كان اكثر في التغذية من طعام ازدرد ازدراداً سريعاً فقد ورد في الامثال الافرنجية من تأنى في اكله طال عمره وهاك الآن معدل الساعات اللازمة لهضم انواع الطعام الاكثر استعمالاً .

دقيقة	ساعة	
	١	الارز
٣٠	١	البيض النيء . السمك المنقوش وسمك سليمان
٤٥	١	الحليب المسلوق
٣٠	٢	اللوبيا والبطاطا المقلوة . الدجاج الهندي والبط المشوي
٤٥	٢	البيض المسلوق والفراخ المحمصة

	٣	اللبن المطبوخ ولحم الضأن المشوي والبفتيك
١٥	٣	الفطائر البائتة
٣٠	٣	السمك المقلي ولحم البقر المشوي
٣٠	٣	الخبز الطري والبيض المقلي والجبن

ولحم الصيد. اما الطيور فثقيل في الهضم يحتاج من ٤ الى ٥ ساعات . هذا ما التقطناه من اقوال احدث علماء الصحة من الفرنسيين وعلى المرء ان يكون حكيم نفسه في تحميل معدته ومزاجه ما يطيق وان يراقب خروج الطبيعة مراقبة تامة فان امراض التهاب الكلى وسوء الهضم والتهاب الامعاء والزائدة الدودية كلها تنشأ من القبض فاذا كان الخروج قد ابطأ في الصباح فعليه ان يستعمل التدليك قبل ان يقوم من سريره وذلك بان يضم رجليه تحت ظهره ويضغط بيده على بطنه فيبدأ من الموضع القريب من السرة ثم يصل الى الجانب ويمر بيده على صورة قوس حتى ينتهي الى الجانب الايسر .

وهذا امر يجب التنبه له لانه داخل في صحة الجسم وهو ان المسكرات على اختلاف انواعها ضارة بالصحة بحسب رأي علماء اوربا الذين يضر قليلها وكثيرها خلافاً لمن يهرفون بما لا يعرفون ويعتقدون على العمياء وهم جاهلون ولاسيما في هذه البلاد المعتدلة الجيدة المياه القليلة الغش في المأكولات على الجملة

مخطوطات ومطبوعات

المنهج الاحمد

ألف العرب يوم كان علماؤهم يعنون بالتأليف طبقات رجال كل فن وقد ذكر منهم صاحب كشف الظنون طبقات الادباء (مطبوع) لابن الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ وطبقات الاصبهانية لابن حيان البستي (٣٥٤) وطبقات الاصوليين للسيوطي (٩١١) وطبقات الاطباء (مطبوع) لابن ابي أصيبعة ٦٦٨) وطبقات الامم لصاعد ولابن سعيد المغربي وطبقات الاولياء لابن الملقن (٨٠٤) وطبقات البيانيين للسيوطي وطبقات التابعين لابن النجار (٦٤٣) وطبقات الحنفي الموصلي والطبقات الثلاثية لجلال الدواني (٩٠٨) وطبقات الجان وطبقات الحفاظ (مطبوع) للذهبي (٧٤٨) وطبقات الحكماء لابن حامد (٥٤٨) وطبقات الحكماء (مطبوع) للقفطي ٦٤٦ وطبقات المالكية [illegible]

وذيلها وطبقات الحفاظين للسيوطي وطبقات الخواص للزبيدي(٨٩٣)وطبقات الرواة لخليفة بن خياط ومسلم بن حجاج والطبقات السنية في تراجم الحنفية للتميمي الغزي (١٠٠٥)والطبقات الشافعية للسبكي طبع وذيوله وطبقات الشافعية للخيضري (٨٩٤) وطبقات الشعراء لابن قتيبة(٢٧٦) ويدخل فيها كتب كثيرة مثل شعراء الزمان وقلائد العقيان (مطبوع) وعقود الجمان والاشارة والاماء الشواعر وكتاب النساء الشواعر واصداف الاوصاف وطرف الادباء ومزيج الزمان والباهر وانموذج الشعراء وجنى الجنان والغرة الطالعة والدرر الفاخرة ومعجم الشعراء وشعراء الاندلس والكتب المؤلفة في الشعراء كثيرة منها يتيمة الدهر (مطبوع)للثعالبي ودمية القصر(مطبوع)للباخرزي وزينة الدهر في لطائف شعراء العصر للحظيري وفريدة القصر للاصفهاني والملح العصرية لابن القطاع والانموذج في شعراء القيروان لابن رشيق والحديقة لابي الصلت أمية بن عبد العزيز ودمية السرور للغزي وكتاب عمارة اليمني في شعراء عصره والمختار في النظم والنثر لابن شرف الصقلي وطبقات الشعراء بالاندلس لابن ربيعة (٣١٠) والبارع واليتيمة والخريدة ومتعلقاتها وخبايا الزوايا والباهر وفحول الشعراء والدرر والغرر والحديقة وطبقات الصحابة والتابعين للجعبري (٢٣٠)وطبقاتهم لابن منده (٣٩٥) واسد الغابة (مطبوع)وطبقات ابن سعد مطبوع والطبقات الصدرية وطبقات الصوفية للنيسابوري (٤١٢) وطبقات الطالبين للحسيني (٥٨٨)وطبقات العلماء لابن حميدة (٦٣٠) وطبقات العلوم للابيوردي (٥٠٧)وطبقات عماد الدين بن كثير «٧٧٤»وطبقات الفرسان لابن مثنى «٢١٠»وطبقات الفرضيين للسيوطي وطبقات الفقهاء للهمداني «٥٢١»ومثله لابن حبيب المالكي «٢٤٠» وطبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي «٢٠٧» وطبقات فقهاء ورؤساء اليمن لابن سمرة الجعدي «٥٨٦»وطبقات القراء للداني«٤٤٤»وصنف فيها الجزري «٧٣٣» اجمع كتاب في هذا النوع والذهبي «٧٤٨» وذيله غيرهم وطبقات الكتاب للسيوطي وطبقات المفسرين والنحاة له مطبوع «وآخر للاشبيلي«٣٧٩»وطبقات الفقهاء للسبكي وطبقات القاري وطبقات المالكية لابن فرحون «مطبوع» «٧٩٩» وطبقات المتكلمين لابن فورك «٤٠٦» وللقاضي عياض بن موسى اليحصبي سماه ترتيب المدارك وفي رجال المتكلمين وطبقات المجتهدين لابن كمال باشا «٩٤٠» وطبقات المحدثين لابن المثنى «٤٠٨» وطبقات المعبرين لابن الخلال وطبقات المعتزلة «طبعت قطعة منه» للقاضي عبد الجبار وطبقات المفسرين للسيوطي وغيره وطبقات النحاة للمبرد «٢٨٤»

وطبقات النسابين للحبيبي ٩٨٢ هـ وطبقات النساك لابن الاعرابي ٣٤٠ هـ ووفيات [illegible] لابن الاكفاني ٥٢٤ هـ [illegible] ووفيات الاعيان لابن خلكان [illegible]

وفي خزانة الكتب الظاهرية بدمشق كتاب طبقات الحنابلة لابن رجب ذكر كاتب جلبي: طبقات الحنابلة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الفراء المتوفى سنة ٥٢٦ هـ صاحب المفرد في مذهب الامام احمد وقد جعل هذه الطبقات في ست طبقات الاولى وكتابه على حروف المعجم وما بعدها على تقدم الوفيات [illegible] وانتهى فيه الى سنة ٥٠٢ هـ ثم ذيله الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد الشهير بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ ووصل فيه الى سنة ٧٥٠ هـ وذيله العلامة يوسف بن حسن بن احمد الحنبلي المقدسي مرتباً على الحروف فرغ من تأليفه سنة ٨٧١ هـ وذيله ايضاً الشيخ تقي الدين مفلح اه .

والثاني لابي اليمن عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي من اهل القرن العاشر ذيل به ما ذيله ابن مفلح في كتابه المسمى المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد وهو الآن بحكم يليه ونتكلم في فرصة أخرى عن طبقات ابن رجب. قال العليمي في مقدمة كتابه بعد البسملة والحمدلة: اما بعد فهذا مختصر اخترت انه [illegible] في جمعه وترتيبه وسألته المعونة في إتمامه [illegible] يشتمل على ترجمة الامام الجليل والحبر المفضل الرباني ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني امام اهل السنة واكبر المجتهدين من الائمة رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه واسمه ونسبه وذكر محنته وتاريخ مولده ووفاته وذكر اصحابه رحمة الله عليهم فاذكر اولاً ما تيسر من مناقب الامام رضي الله عنه ثم اذكر اصحابه الذين اخذوا عنه [illegible] فاذكر من تقدم عصره [illegible] ثم اذكر من توفي بعده ثم اذكر من لم اقف على تاريخ وفاته [illegible] الاصحاب من الطبقة الاولى [illegible] من العلماء [illegible] من الفقهاء الذين [illegible] في الاصول والفروع وشيدوا قواعد الفقه ونقل عنهم الى [illegible] الى ان وصل الامام [illegible] [illegible] عن غيرهم من اصحابه [illegible] [illegible] من غير المشهورين بالمذهب [illegible] في فروع الفقه ثم اذكر [illegible] اصحابه من بعد الطبقة الاولى [illegible] في الطبقات [illegible] في تاريخ [illegible] وما وقفت عليه من ترجمته والعصر الذي كان فيه [illegible] بحسب الامكان وحذفت الاسانيد مما يرويه فيه من الاحاديث الشريفة [illegible]

---

(١) من المخطوطات الموجودة في خزانة كتب [illegible] السيد [illegible] المبارك

حذفاً للاختصار ونسبته للشيخ الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد

وقد وقع هذا الكتاب في زهاء [illegible] صفحة من القطع الأوسط وكان الفراغ من نسخه سنة ١١٩٥ على يد عبد الفتاح شطي البغدادي . وعليه خطوط بعض بني الحنبلي وقد قال المؤلف في آخره : وهذا آخر ما تيسر ذكره من فقهاء الحنابلة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ولم أترك ذكر أحد ممن علمت أنه يذكر في الطبقات إلا من لم أطلع على أمره فقد ذكرت في هذا المختصر جماعة من المتقدمين لم يذكرهم القاضي أبو الحسين وجماعة من المتأخرين لم يذكرهم الحافظ ابن رجب وجماعة من المتأخرين لم يذكرهم قاضي القضاة برهان الدين بن مفلح

وهذا الكتاب مجموعة نفيسة لعلماء هذا المذهب في الصدر وفيه تراجم كثير من المشاهير فيه مثلاً ترجمة الإمام أحمد رحمه الله وابن الجوزي وابن قيم الجوزية وابن تيمية والقاضي أبي يعلى والقاضي يحيى بن أكثم والوزير ابن هبيرة وعشرات غيرهم ممن كانوا من فقهاء أحمد بن حنبل وحملوا لواء التقى والعلم وسعة التأليف والوعظ والإرشاد ، وتراجم من تحملوا الأذى في سبيل تأييد مذهبهم ولا سيما في الامتناع عن القول بخلق القرآن وهي المسألة المختلف فيها بين الناس في عهد المأمون خليفة العباسي ومن بعده وذلك مثل أحمد بن نصر الذي قتل في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن أخذه الواثق فقال له ما تقول في القرآن قال كلام الله قال أفترى ربك في القيامة . قال : كذا جاءت الرواية [illegible] الواثق في الطلب وقال له : « يا صبي » فدعا الواثق بالصمصامة وقال إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معي فإني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر (؟) الذي يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد فأمر بشد رأسه بحبل وأمرهم أن يمدوه ومشى إليه حتى ضربت عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياماً وفي الجانب الغربي أياماً .

وفيه أمثلة من الشعر على مذهب الحنابلة نظموها في قرون مختلفة ولا سيما في القرون التي أثار ثائرها التعصب المذهبي وأمثلة من معتقد رؤساء الحنابلة في المسائل المختلف فيها مثل قول أبي بكر بن أبي داود السجستاني من قصيدة :

وقل غير مخلوق كلام مليكنا بذلك دان الأتقياء وأفصحوا
ولا تك في القرآن بالوقف قائلاً كما قال أتباع لجهم وأسجحوا

إلى أن يقول بعد أبيات في بحث الاعتقاد :

ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا فكلهم يعصي وذو العرش يصفح

ولا تعتقد رأسيه للخوارج انه   معلق [illegible] ويضيع
ولا ظل مرئيًا لعين؟ لانه   الا انما الروحي بالحس يجرح

ومثل ذلك قول ابي الخطاب البغدادي في هذا المعنى من قصيدة

وان كتاب الله ليس بمحدث   على الذي في الصدر يجمع
وما كتب الخطاط في كل مصحف   كذلك ان صوت او كان يسمع

ومثل ذلك قول ابي الخطاب الكلوذاني من قصيدة

قالوا فهل لله عندك مشبه   قلت المشبه في الجحيم الموصد
قالوا فهل هو في الاماكن كلها   قلت الاماكن لا تحيط بسيدي
قالوا فتزعم انه على العرش استوى   قلت الصواب كذاك خبر سيدي
قالوا فما معنى استوائه ابن لنا   فاجبتهم هذا سؤال المعتدي
قالوا فانت تراه جسمًا قل لنا   قلت المجسم عندنا كالملحد

ومن اطلع على ترجمتهم [illegible] ابي العلاء الهمذاني [illegible] كتابًا في ذكر مسائل الفقه المتفق عليها والمختلف فيها بين الائمة الاربعة المشهورين [illegible] اهل المذاهب ولو قدم من البلدان اليه لاجله بحيث انه انفق في ذلك مائة الف دينار [illegible] الف دينار وحدث به جميع الخلق الدائم لسماعه منه وكتب به نسخة خزانة المسجد وبعث منه الاطراف [illegible] فاستحسنوه وتلقوها اليوم حتى السلطان نور الدين الشهيد والمشتغلون [illegible] في الاختلاف [illegible] يدرسون منه في المدارس والمساجد

هذا بعض ما حواه الكتاب من الفوائد وحبذا لو صحت همة الطابع الى طبعه بعد الوطبع الشافعية والمالكية والحنفية والاصلية [illegible] كتب الطبقات مفيدة من جهة وجوه وليس الحسن في قصور حال [illegible] من الرجوع الى [illegible] وما قبله وفيه وحدث لم والحمد لله

نهر الاردن

ظهرت في عالم المطبوعات في المانيا علاوة للمستشرق [illegible] في وصف امصار نهر الاردن [illegible] خلاصة الرحلات التي كتبها الاول [illegible] في فلسطين وما والاها وقد وصف [illegible] الرابع في [illegible] الذكر اليوم هو من نهر الزرقا الى [illegible] وادي موسى وصفًا جغرافيًا مدققًا والطريق الروماني من [illegible] الى وادي موسى والطرق المتشعبة منه ووصف وادي موسى [illegible] والطريق الروماني من [illegible] الى عين صدقة

والعقبة . ومن الخرائب الرومانية واليونانية والعربية والنبطية مما لم يشر اليه الباحثون في تلك الارباض من قبل . ومن الآثار التي وصفت مع صورها محطة الملج وحصن روماني قديم وكثربة وذات رأس وضوان واذرح وفي هذه معسكر روماني وكنيسة يونانية وقد استغرق الكلام على وصف وادي موسى زهاء ثلاثمائة صفحة وفي المناظر التي اوردها الباحثان في كتابهما تمثل مشارف الاربع صخور الزيبة المطلة على الوادي ثم وصفا اشكال النواويس المحفورة في الصخر وصفاً تاريخياً والابراج المحفورة هناك هي بيوت كان يسكنها سكان وادي موسى . ومعظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك ارتياس الرابع (ار ٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده) وليس في وادي موسى اعمدة من قبل الحكم الروماني عليها . ووصفا قصر فرعون وخزنة فرعون ورجحا مما رأياه من صور ابي الهول وايزيس وروؤس الجمال ان تلك البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والمسلتان الموجودتان في الحجر تمثلان ربَّي النبطيين ذوشارس واللات ويستدل منها انها كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الاقل . وقد دخلت المدنية اليونانية الى وادي موسى على عهد البطالسة وبذلك يستدل على اختلاط العنصرين المصري والسوري . ولم تستقل مملكة النبط هذه الا في اواخر القرن الثاني عندما انحطت دولة البطالسة والسلوقيين وكان القول الفصل فيها للمدنية اليونانية الى عهد ارتياس الرابع (٨٥ — ٦٠ ق م) ولما تحولت المملكة النبطية الى ولايات رومانية بقيت محتفظة بمكانتها . وفي اواخر القرن الثالث للمسيح عاد الى وادي موسى استقلاله . والغالب ان غارات الساسانيين الفرس الى هذه البلاد اضطر بترا ان تنقطع عن انشاء القبور وحك النقود . وقد وصف المؤلفان ٨٥١ موضعاً من مصانع بترا من مثل القبور والمعابد والمذابح والحياد في وصف جبل هرون ووادي صبرة والحدود الشرقية من هذه الولاية العربية من معان في الجنوب الشرقي من بترا الى بصرى واطلقا عنان القلم لوصف ما وقفت ابصارهما عليه من المعدوبات والمعابد ووصفا بلاد حوران ولاسيما درعا والسويداء واتيل وقنوات وقرى اللجاة وما فيها من الآثار مع بيان المسافات وطبائع البلاد ورسمها ونقلوبها بالصور والمصورات وشفعا كتابهما ببيان تخوم البلاد العربية وتقسيم مدن سورية وفلسطين ولبنية والعربية كما كانت في عصور مختلفة كل ذلك مع اسماء الملوك الاقدمين الذين حكموا البلاد .